

سلسلة قصص للفتيان

أرض الطمانينة

وقصص أخرى

زياد غزال فريحات

دار حمزة للطباعة والنشر

أرض الطمانينة

(قصة للفتيان)

القصة التي حصلت على جائزة عربية

ومثلت مسرحية في مهرجان دولي

زياد غزال فريحات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

في غابة جميلة مليئة بالأشجار المثمرة ، والأنهار التي تجري خلالها ، كانت تعيش مجموعات من القرود يتميزون بالأخلاق الكريمة ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف ، فهذه الصفات جعلتهم جماعة متماسكة ومتعاطفة مع بعضها البعض ، وفي ليلة غاب عنها القمر اجتمع القرود في ساحة كبيرة في طرف الغابة تسمى ساحة النصر ، ففي هذه الساحة دارت معركة انتصر فيها القرود على الغزاة وطردهم من الغابة ، وبينما يحتفل القرود بذكرى النصر مسرورين ، يجلس قسم منهم على جبل شاهق يعتبر نهاية الغابة ، والقسم الآخر في الساحة ، تضيء عتمة ليلهم نيران كبيرة وضعت في زوايا الساحة ، وفي غمرة الاحتفال هبت رياح اشتدت شيئاً فشيئاً ، وأخذت النيران تنطفئ واحدة تلو الأخرى ، حتى خيم ظلام دامس على الغابة بأسرها والرياح تزداد قوة ، فبدأت بعض القرود بالصراخ ، ومع الظلام الدامس وقوة الرياح ازدادت وتيرة الصراخ ، وفي وسط الصراخ صاح أحد القرود:

- : ما هذا إنه وحش كبير.

وعند سماع كلمة وحش كبير وسط الظلام الحالك والرياح القوية ، صاحت بعض القرود خائفةً :

- : ماذا وحش كبير ... إني لا أراه .

- : هذا ليس وحشاً إنه غول ... غول

... : إني لا أرى شيئاً .

- : غول .. غول .. اهربوا خلف الجبل ، اهربوا خلف

الجبل .. حتى لا يأكلكم الغول ، اهربوا خلف الجبل
بسرعة .

وهرب الجميع من الغابة ، خلف الجبل المحاذي لغابتهم وتجمعوا عند الفجر حول شجرة كبيرة في وادي أشجاره قليلة ومياهه شحيحة ، ومضت الأيام وهم في الوادي لا يقتربون من غابتهم التي تبعد عنهم مسافة قليلة خوفاً من الغول ، وأصبح اليوم الذي خرجوا فيه من غابتهم ذكرى يتذكرونها كل عام ، وفي الذكرى الخامسة لهذا اليوم

اجتمع القرود حول الشجرة وتقدم قرد عجوز ببطء ثم وقف على جذع شجرة مرتفع عن الأرض وخاطب الجميع قائلاً :

- في هذا اليوم الذي أنجانا الله فيه من الموت ،
نحتفل في كل عام ونتذكر إخواننا الذين أكلهم الغول
ونقوم بغسل الشجرة المباركة التي حمتنا طوال هذه
السنوات ، أيتها القرود الأبطال علينا أن نجدد العهد الذي
أخذناه على أنفسنا بعدم الذهاب إلى غابتنا التي يسكنها
الغول حيث النهر الصافي والأشجار المثمرة لأن الذهاب إلى
هناك يعني الموت.

بقي القرد العجوز واقفاً على جذع الشجرة ، وبعض القرود
تؤكد كلامه وتتضامن مع موقفه بشدة .

- مسرع : لن يجرؤ أحد على الذهاب إلى الغول
بقدميه فالنهر الصافي والأشجار اليبانة أصبح المساس بها
يعني إثارة غضب الغول .

- نافذ : ونحن لا نريد إثارة غضبه ،
فغضبه لا يقاوم .

- ناهض : حتى لو حاول أحد الذهاب سوف
نمنعه جميعاً ونقف سداً منيعاً لصدّه .

- العجوز : لن يحاول أحد ذلك أنظر في وجوه القرود
صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً ترى الخوف والرعب بادياً على
وجوههم وما في قلوبهم أشد وأكبر .

وبينما هم كذلك دخل عليهم أحد القرود مستغيثاً ، يملؤه
الخوف والفرع .

- : يا قرود الوادي ... أنقذوني ... أنقذوا بيتي .. بيتي
يحترق .. بيتي يحترق .

ورغم الاستغاثة المحزنة للقرود إلا أن القرود استقبلتها
ببرود شديد وعدم مبالاة ، فاتجه نحو القرود العجوز وأمسك
بيده متوسلاً .

* - : أطلب من القرود أن يأتوا معي لإطفاء البيت ...
أرجوك .

- القرود العجوز : أيتها القرود من يستطيع منكم الذهاب
فليذهب ومن يتبقى يغسل معنا الشجرة المباركة .

ولكن القرود بقيت واقفة ، والقرود ينظر إليها بحسرة ،
فنهزه القرود ناهض قائلاً :

- : لقد قال لك القرود العجوز .. إننا نريد أن نغسل
الشجرة المباركة .

وعندما أدرك القرود عدم جدوى استغاثته ، صرخ بالجميع .
* - كلكم ستغسلون الشجرة المباركة ، لماذا قلوبكم
ميتة ، ما هذه الأنانية التي أغرقتكم ، ما هذه اللامبالاة التي
غطتكم ، ألا تحسون أن أجسادكم باردة جداً ؟

ومشى القرود الحزين ليغادر ، فناداه قرود اسمه "قائم"
أثر فيه الموقف و الكلمات ، وقرر أن يذهب معه لمحاولة
إخماد الحريق ، وبعد أن غادر القردين سخر منهما بعض
القرود بقولهم :

* - : أنا لست أنانياً ولكن أخشى أن تحرقني النار ، كما
أنني لا أجد إطفاء الحرائق .

- : لا أدري لماذا جاء يستغيث وهو يعلم أن قرود
الوادي تعودت الابتعاد عن كل ما فيه خطر ، هذا أصبح

طبعاً فينا جميعاً .

- القرد العجوز : هيا لنبدأ بغسل الشجرة المباركة
ولنغني أغنية الأمان.

- القرد ناهض : لا أدري لولا هذه الشجرة كيف أصبح
حالنا فربما أصبحنا في بطن الغول ، يجب علينا أن نحافظ
على هذه الشجرة كما نحافظ على أبنائنا ولنغن أغنية
الأمان . ويبدوون غسل الشجرة وينشدون معاً :

نكره نكره من يجازف
يتصدى للموج الجارف
ويحاول أن يصبح بطلا
ونحب المنهزم الخائف
نقنع بالنظر إلى الأسفل
لا نحلم بالأفق الأجمل
ونحب العيش بلا أمل
لا نطمع أن نصبح أفضل
نتقن مشيا نحو الخلف
نتمسك دوما بالخوف
ونخاف طموحا ومسيرا

لأمام نخشى من طيف
نكره أن نصبح أبطالا
أو نصعد للمجد جبالا
ونخبئ في الأرض رؤوسا
كنعام تختبئ رمالا

هذه الأنشودة تعبر عما أحدث فيهم الخوف من غير الله عز وجل ، فبعد أن كانوا يتميزون بالنخوة والشهامة والتعاطف فيما بينهم انقلبوا إلى العكس بسبب الخوف من غير الله عز وجل .

ومضت الأيام وجاء موسم خفت فيه الأمطار ، فدب الرعب في قلوبهم فهم أصبحوا يخافون ، من مجرد الاحتمالات فقط ، فقال القرد العجوز لمن حوله :

* - : إذا لم ينزل المطر خلال هذه السنة بكثافة فإن ماء البئر لن يكفينا .

- القرد نافز : وبالتالي لن تكفينا أوراق الأشجار وأعشاب الوادي لا بد أن نفكر في شيء بديل .

وأثناء حديثهم يدخل قرد ليس من أهل الوادي ، يمشي ببطء وتثاقل ، ينظر في وجوه القروء مستغرباً وكأنه يبحث

عن شيء ما أو أحد ما .. يقترب من القرد العجوز ، وينظر في وجهه فيصرخ العجوز بأعلى صوته مرتعباً .

* - : ابتعدوا .. ابتعدوا ابتعدوا سريعاً هذه روح القرد ضارب الذي أكله الغول ، إنها روح مؤذية .

فابتعد الجميع مذعورين ولكن القرد ضارب يناديهم : إلى أين تذهبون ، أنا ضارب لماذا تبتعد يا صديقي العجوز كاسر ، تعال إلي يا ناهض ، اقترب يا نافز ، الحمد لله وجدت أهلي ، ما بالكم ، ولماذا أتيتم إلى هنا .

يقترب ضارب شيئاً فشيئاً من القرد العجوز فيمسكه ويحتضنه فيبتعد العجوز خائفاً ، ويركض إلى الشجرة الكبيرة ، طالباً منها الحماية و يناجيه والخوف يملؤ قلبه .

- : أيتها الشجرة المباركة أبعدي عنا الأرواح الشريرة

أبعدي عنا الشر والخطر ماذا تريدان أيتها الروح ..؟
قولي .

- القرد ضارب : روح ماذا ؟ وشجر ماذا ؟ ما بالكم ، هل

فقدتم صوابكم ؟ ما هذا الخوف والفرع الذي يبدو عليكم من

قرد عجوز مثلي أنا القرد ضارب بلحمي ودمي ، لست روحاً أو
جناً ، أنا قرد مثلكم ولست روحاً شريرة .

وظل القرد ضارب يحاول إقناعهم أنه ليس روحاً بل جسد
ولكن دون جدوى فقد منعهم الخوف من غير الله عز وجل
من استخدام عقولهم ، وجعلهم يلجؤون لشجرة جامدة لا
تضر ولا تنفع ، فاضطر ضارب إلى إخراج سكين ، وجرح يده
ليقنعهم أنه جسد وليس روح ، فشهقت القروود خوفاً وهي
تري الدماء تقطر على الأرض ونظر إلى القروود وقال :

- بعد هذه الدماء ، هل أنا جسد أم روح .

فاقترب منه القرد قائم الذي شارك في إطفاء حريق بيت
أحد القروود ، اقترب منه بحذر شديد ، وأمسكه بيديه ،
ولمس الدماء ، وقال بصوت تسمعه كل القروود .

- : نعم أنت قرد مثلنا ، ودمك مثل دمنا ، إنك

جسد وليست روح ، ولكن من أنت .

* - : ألم تعرفني أنا عمك يا قائم .

يتفحص قائم عمه فيدرك أنه عمه الكبير فقد تغير شكله كثيراً خلال خمس سنوات ، فيحضنه بهدوء ، ولكن عمه القرد يضع يده على رأسه ويشد رأسه إلى صدره بانفعال شديد ، فأحس قائم بحرارة المشاعر المفقودة في الوادي .

- القرد ضارب : أين أبوك .. أخي الصغير ؟

- القرد قائم : لقد توفي .

- القرد ضارب : وهل أنجب أبوك قروود .. غيرك ؟

- القرد قائم : نعم لي ثلاثة أخوة صغار سوف يسرون

برؤيتك هيا لنذهب إليهم .

- القرد ضارب : قبل أن نذهب أريد أن أعرف لماذا تركتم

المقام بجانب النهر والأشجار المثمرة وأتيتم إلى هذا الوادي

الشحيح بالماء والأمطار

- القرد العجوز : حتى لا يأكلنا

الغول .

- القرد ضارب : أي غول؟؟!!

- القرد العجوز : الغول الذي هاجمنا في تلك الليلة التي

فارقتنا فيها ، وأكل من أكل من إخواننا ولولا هذه الشجرة

لأكلنا جميعاً .

- القرد ضارب : من هاجمنا في تلك الليلة ليس غولاً بل مجموعة من الصيادين وقد أسروا عددا من القرود كنت من بينهم ، ثم وضعونا في حديقة للحيوانات ينظر البشر إلينا ويقذفون لنا الطعام .

- القرد ناهض : وأين باقي القرود ، أين آباؤنا وأجدادنا ؟
- القرد ضارب : لقد توفوا جميعاً ، وفي حفلة أقيمت لمدير الحديقة بمناسبة انتهاء خدمته أهدوني إليه وهو من أطلقني على مسافة قصيرة من هنا فهو يعرف موطني .

- القرد قائم : إذا لا يوجد غول يا عمي !!!
- القرد ضارب : أبداً ... لا يوجد غول وقبل أن أجدكم ذهبت إلى حيث كنا نسكن وشربت من ماء النهر وشراب جوز الهند وأكلت الموز وسبحت بمياه النهر الباردة الصافية .

في تلك اللحظة أحس جميع القرود بالصدمة ، ولكن الخوف من غير الله عز وجل جعلهم مترددين ، فرغم ما أثبتته لهم القرد ضارب من عدم وجود الغول إلا أنهم لم يجرؤوا على التفكير بحرية لأن الخوف من غير الله عز وجل وضع عقولهم في سجن ، وفي نفس الوقت هم لا يستطيعوا تجاهل ما قاله القرد ضارب ، ومن الذين تجرؤوا على الكلام هو القرد قائم فتساءل :

* - : هل يعقل أننا كنا نعيش في وهم الخوف والرعب

الذي كان يملؤنا ، كان من لا شيء .. هل يعقل هذا؟؟
- القرد ناهض : أنا لا أصدق ذلك ، ربما أن الغول لم يرَ عمنا
وهذا لا يعني أن الغول غير موجود .
- القرد العجوز : نعم ، هذا لا يعني أن الغول غير موجود
- القرد قاتم : ولكن يجب علينا أن نتأكد هل نحن في وهم
أم في حقيقة ، وهل خوفنا له مبرر أم هو مرض أصابنا
جميعاً .

- القرد ضارب : واجهوا الأخطار بالتصدي لها ، والوهم
باليقين والخوف بروح التحدي والمجازفة بدل اللجوء إلى
شجرة عمياء صماء الجؤوا إلى ربكم الذي خلقكم واطلبوا منه
العون والسداد .

وظل ضارب يحاول إقناعهم بعدم وجود الغول وأن عليهم
الذهاب إلى غابتهم ليتأكدوا من ذلك ولكنهم ظلوا مترددين،
لا يستطيعون أن يمشوا خطوة إلى الأمام ، لأن الخوف من
غير الله يدمر العقول ، ويصغر النفوس ويهبط بالأخلاق
إلى أسفل ، في إحدى الأيام رأى ضارب القرود تتبرك بالشجرة
الكبيرة وتطلب منها الحماية من الغول
فخاطبهم بحسرة :

* - : خسارة لقد قتل الخوف والرعب فيكم أشياء كثيرة ودمر الوهم فيكم أشياء أكثر ، ولم يكن أبأؤكم وأجدادكم يحملون هذه الصفات .

ثم يذهب إلى الشجرة الكبيرة ويقطع منها غصناً بغضب ، فتصرخ القرود خوفاً ، ويتراجع الجميع فيقول لهم ضارب :

* - : هذه الشجرة الخرساء العجزاء سوف تحميكم؟! هل أفقدكم الوهم عقولكم?!

ثم يكسر غصنا آخر بعنف أشد من السابق ، فيزداد صراخ القرود ويتراجعون أكثر فيصرخ فيهم ضارب بغضب .

* - هل أفقدكم الخوف والرعب إيمانكم ألم تخلقوا لتسبحوا بحمد ربكم وليس بحمد هذه الشجرة الصماء لماذا تخافون من غير خالقكم?!

ومع كل ما فعله وقاله ضارب ولكن دون أي استجابة ، ولكنه لم ييأس وظل يدعوهم للخروج من الوهم ، وإلى الخوف من الله فقط ، لأن الخوف من الله عز وجل يملؤ القلوب شجاعة . وبعد ثلاثة شهور من دعوته لهم ، قرر البعض

الذهاب معه ، ليكتشفوا مدى صدق أقواله وعندما أرادوا الخروج قال لهم القرد العجوز :

* - : سأذهب أنا مع بعض كبار القوم ولكننا سنبتعد مسافة كبيرة بحيث نراكم ، فإن رأيناكم في أمان لحقنا بكم وإن لا سمح الله نالكم مكروه رجعنا سالمين ، هيا اسبقونا أنتم .

وغادر ضارب ومن معه في الصباح الباكر وبقي أكثر القرد في الوادي ينتظرون وهم مرعوبين مما سيجري ، وعند الغروب جاء ضارب ومن معه مسرورين يبشرون الجميع بعدم وجود أي أثر للغول وأخذوا يقصون للجميع ماذا جرى معهم ويقولون :

* - : بالفعل لا يوجد غول .. لقد كنا في وهم ، لقد كان خوفنا وفزعنا خلال هذه السنوات الطوال من لا شيء
- : لقد أضع الوهم والفرع طمأنينتنا ، وكسر قلوبنا وحطم حماس شبابنا خسارة ، لقد فقدنا الكثير .

نتسابق بـ العوم ونسعى
تأجيد لـ الإقـدام وسوف
سنواصل لـ سـيراً للقمة
ونزيد مـع القـوة همـة
ونبـدأ أوـهـام الخـوف
مـع دناـنا نشـعر بالعتـمة
أبطـال مثـل الآبـاء
نمضـي فـي عـزم وإبـاء
ونشـق عـبـاب الأهـوال
نسـمـو فـوق نـجوم فضـاء

بعد الغناء بلحظات وإذا بصخرة تدرج من أعلى الجبل إلى
طرف الوادي

- ناهض والقرد مسرع : الغول ... الغول (بفرع)
الغول فليهرب الجميع ... وهم يرددون .

* - الغول قادم الغول سينتقم .

ثم يتجمعون حول الشجرة الضخمة والقرد العجوز يناجي
الشجرة وهو خائف.

* - : أيتها الشجرة المباركة احمي قرود الوادي ..
وأبعدي الغول عنا ، اصرفي بصره عنا ، احفظي أهل الوادي
، كما حفظتهم من قبل .

- القرد ضارب : ((بصراخ هائل)) ... كفى ... كفى .. كفى
خوفاً ... كفى رعباً .. كفاً وهماً أنتم لا تتعلمون .

ولكن القرد ناهض تقدم نحو ضارب موجهاً الكلام له
بانفعال .

* - بل كفى أنت ... كفى تهوراً ... كفى استهتاراً بالأخطار .
- القرد ضارب : بدل أن تلجؤوا الى ربكم لجأتم إلى شجرة لا
تستطيع أن تحمي نفسها ، فبدل أن تواجهوا الأخطار
صنعتم أوهام زلزلت قلوبكم
- القرد العجوز : هل هذه الصخرة التي تدرجت وهم .. هل
تريدنا أن نكذب أنفسنا لكي ترضى .

- القرد قائم : هل سألنا أنفسنا عن سبب انهيار
الصخرة ؟

في كل سنة تقريباً تنهار صخرة من أعلى الجبل كنا نظن أن الغول يقذفها علينا .. فربما يكون أمراً طبيعياً .

- القرد ناهض : بل قذفها علينا الغول لأننا ذهبنا إلى مكانه .. إن هذه الصخرة لم تصبنا بأذى ولا ندري الصخرة الأخرى كم بيتاً ستهدم وكم قرداً ستقتل .

- القرد نافز : علينا كما قال العم ضارب ... أن نواجه الأخطار حتى لو كان غولاً علينا أن نواجهه .

- القرد ضارب : أنا سأذهب لأتبين سبب انهيار الصخرة غداً في الصباح و من يريد المجيء معي فموعدنا هنا عند شروق الشمس .

وفي الصباح خرج ضارب برفقه عدد من القروء الشباب إلى غاباتهم المهجورة ، فيكتشفوا وجود تصدع في أعلى الجبل وأن هناك بعض الصخور الأخرى القابلة للسقوط ، وأن الوادي أصبح غير آمن وطاف ضارب ومن معه في الغابة وأكلوا من ثمارها وشربوا من نهرها ورجعوا إلى الوادي بعد ثلاثة أيام وأخبروا القروء بما شاهدوه وطلبوا من الجميع أن يستعدوا للرحيل غداً في الصباح وفي الصباح انقسم أهل الوادي بين مؤيد للرحيل ومعارض له ،

فضارب وكثير من القرد الشباب استعدوا للرحيل والقرد العجوز والباقي قرروا البقاء في الوادي ، رحل ضارب ومن معه وعاشوا في الغابة في طمأنينة وسرور ، وقد أدركوا ماذا يجر عليهم الخوف من غير الله من ويلات .

وبعد ستة شهور تساقطت بعض الصخور على الوادي فقتلت عدداً من القرد من بينهم القرد العجوز ، فهرع ضارب ومن معه إلى الوادي ليجدوا الجميع جالسين والحزن والكأبة تعلو وجوههم ، وهم يشاهدون القتلى والجميع حولهم ، فيخاطبهم ضارب :

* - : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا معشر القرد إني أعزيكم وأعزي نفسي بمصابنا بفقدان كبيرنا القرد العجوز كاسر و باقي من توفي ، وأخبركم بأن الصخور التي تدرجت عليكم كانت نتيجة لتصدع في أعلى الجبل ولا يوجد غول إطلاقاً إنما الغول صنعته أوهامكم فيجب أن نرحل .. إلى حيث يجب أن نكون .

- القرد قائم : فلنرحل ولندفن جدنا القرد كاسر وباقي الموتى في أرض الطمأنينة ولندفن معهم خوفنا

وفزعنا وأوهامنا .

- القرد نافز : ولندفن معه أمراض الماضي ...
فليستعد الجميع للرحيل .

- القرد قائم : فليستعد الجميع للرحيل .

- القرد ضارب : قبل أن نرحل يجب أن نقطع هذه
الشجرة حتى نقطع رجاءنا ولجوءنا لغير ربنا .. رب السماوات
والأرض ، فلنقطع الشجرة ، ونقطع معها خوفنا من غير
خالقنا فهو وحده من يضر وينفع .

فقط ضارب ومن معه من الشباب الشجرة ، بحماس

- القرد قائم : وداعاً أيها الخوف ... وداعاً يا أرض
الوهم .

- القرد ضارب : قادمون يا أرض الطمأنينة .

فغادروا الوادي إلى غير رجعة ودفنوا موتاهم في غاباتهم ،
وعاشوا يحاربون الخوف من غير الله وأصبح نشيدهم في
كل مناسباتهم هو :

وداعاً للخوف من غير الله ، وبعد سنة من رجوعهم
إلى غاباتهم اجتمعوا في ساحة النصر وأنشدوا :

وداعاً أيها الخوف

وداعاً أرض أحلامي

وداعاً لا لقاء له

فقد أدركت إقدامي

وداعاً أيها الخوف

سأقطعها جذور الوهم

لن تبقى لترعبني

وأعمل دائماً بالفهم

عقلي سوف يرشدني

وداعاً أيها الخوف

إلى الرحمن ملجأنا

وليس لغيره نلجأ

فبالبركات يحفظنا

وشرّ نفوسنا يدرأ

وداعاً أيها الخوف
إلى أرض الطمأنينة
سنمضي نطرد الوجل
وعين الله تحمينا
وننشر للدنى الأمل
وداعاً أيها الخوف

النهاية

غَابَةُ النَّهْرِ الْعَذْبِ

(قصة للفتيان)

زياد غزال فريحات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

في غابة جميلة كتب على أعلى شجرة فيها لافتة
تقول (لا لدخول الذئب إلى غابتنا) وعلى أضخم
شجرة لافتة مكتوب عليها (غابة النهر العذب).

في هذه الغابة أسد يصعد على تلة عالية عند غروب
الشمس ويغني بصوت جميل:

يا غابة النهر العذب

يا غابة النهر العذب ثوري

على دوس أقدام الغرباء

على أرض تسلب في الخفاء

أنيابي صرخات الثوار

ومخالبني انتفاضة الأحرار

أنا أسد مكشوف لا يصاد

ولا يقبل فكراً من صياد

زئيري هامات الشهداء

وأفكاري تجافي الدماء

وعندما ينام الجميع وفي جوف الليل يسهر فهد ويغني

لوحده بصوت يملؤه التحدي

أنا فهد لا أحد يسبقني

أنا قلم لا أحد يكسرني

جلدي منسوج من كلمة حق

ولحمي مجبول بدفاتر صدق

وعند شروق الشمس يقف حصان في وسط الغابة ويغني:

الشعب أنا ... وأنا الشعب

أصالتي تاريخه المسطر بتعاليم الأجداد

وتضحيات نحو حقّ مسلوب يعاد

لا أقبل الخنوع

والذل والركوع

لو أعرى أو أجوع

لا أطفئ الشموع

لا أطفئ الشموع

وفي كل يوم يغني الأسد عند غروب الشمس, ويغني
الفهد في جوف الليل, ويغني الحصان عند شروق
الشمس, إنهم يتغنون لتبقى الغابة تقاوم محاولات
سرققتها أو تركيعها من قبل الذئاب الذين اغتصبوا
بعض أماكنهم المقدسة, وجاءوا ليقوموا بوظيفة
الصيد نيابة عن أسيادهم في البلاد البعيدة,
وأسيادهم زودهم بكلّ وسائل الصيد من أسلحة
وذخائر وكلّ ما يحتاجونه لصيد أهل الغابة, ورغم
ذلك فقد قرر زعيم غابة النهر العذب عقد معاهدة
سلام مع الذئاب, وتنص المعاهدة أن يصبح الذئاب
أصدقاء لأهل غابة النهر العذب, وهذا ما رفضه أهل

الغابة إلا القليل جداً، فاجتمع جزء كبير من أهل
الغابة فقال الأسد:

سوف نعلق أسماء من يتعامل مع الذئب على
الشجرة السوداء وننذرهم عقاب الله الذي
خلقنا وأمرنا بالحفاظ على المقدسات.

الحصان: الذئب آتون ليصطادوا ويجعلوا من
غابتنا حديقة أمامية للقصور والعمارات الشاهقة
التي بنوها على جماجم أخوة لنا.

الفهد: هل يا ترى سننجح في مقاومتهم؟

الأسد: بالطبع سننجح إذا واصلنا المقاومة
وبقينا متمسكين بأوامر خالقنا... عندها سيخرجون

الحصان: وإذا لم يخرجوا؟

الأسد: سيكون بقاؤهم خسارة لهم.

وفي أثناء اجتماعهم يدخل الغراب وهو يرى أنه لا مجال
لمقاومة الذئب، وأن كل ما يفعله الأسد ومن معه هو عبارة

عن عبث، فقد كان الغراب مهزوم من داخله، وفي وسط
الاجتماع، دخل الغراب ولم يسلم على أحد ونظر إلى الجميع
وسار نحو اللافتة وأخذ ينظر إليها ببطء ... نظرة اليأس
والإحباط وهز رأسه وقال :

-قل لي أيها الأسد ... كيف يقاوم أسد أعزل
ذئباً مدججاً بالسلاح ؟

كيف يقاوم حصان جائع أساتذة في الترويض ؟

كيف تقاوم شموع صغيرة رياحاً عاتية ؟

الأسد: نقاومهم بإيماننا بخالقنا صاحب القدرة
بلا حدود ... بنهرنا العذب الذي لا يطيق إلا الصفاء ...
بأوراق الأشجار التي تنقلب حراباً عندما تحس أن
هناك نية لاغتصابها بتراث اجدادنا.

الغراب: أين هو التراث ...؟ ألم تعلم أنه تم
شطب كل كلمة تتكلم عن وحشية الذئب وغدرهم
في كتب أبنائنا... وفي الوقت نفسه الذي ينشد أبناء
الذئب ليل صباح أن الصيد شرف كبير وقنصنا وسلخ
جلودنا هو سر وجودهم.

لا سبيل للمقاومة فنحن مهزومون... ..

الحصان: لن نهزم ما دامنا مؤمنين بالله، ما
دام هذا الفهد متيقظاً رغم الضباب ... ما دام هذا
الأسد يِرَأر رغم محاولات إجمامه ... يجب أن يبقى هذا
النهر صافياً دون أن تكدره أقدام الدئاب وتبقى ورود
الغابة عذاري.

الغراب: إذا بقي هنالك نهر وأوراق.

ابتعد الغراب عن أهل غابته، بسبب يأسه وإحباطه
وإحساسه الكبير بالهزيمة، وأثناء سير الغراب التقى بالأرنب
والدب، فقال الأرنب للغراب بعد أن علم باجتماع أهل
الغابة:

- سننتهي من الرعب الذي كانت تسببه لنا

الدئاب ... فمقاومة الدئاب أمر مخيف .

- الدب: سنجني من التعامل معهم مكاسب كثيرة.

الأرنب: لقد أرهقنا طول الرباط ... ورعب
الأبناء من صوت الطلقات, لا نريد أن يعيش أبنائنا
في غابة محروقة.

الدّب: لقد ذهب قوت صغارنا إلى الإعداد
لمقاومتهم... فصغارنا أحق بهذا القوت.

الأرنب: إنهم يستطيعون في ساعات اصطياد
حيوانات الغابة.

الدّب : أهل الغابة مخطئون.

الأرنب: بل متهورون ... وهناك فرق بين
الشجاعة والتهور...

لم يتقبل الغراب ما يقولانه؛ فهو في نظره انتحار وبيع
للغابة بلا ثمن، ولكنه في نفس الوقت مهزوم من داخله لا
يستطيع أن يقاوم، ترك الغراب الدّب والأرنب وطار على
شجرته العالية، ينظر إلى الغابة بنظرات تخلو من الأمل،
وهو على شجرته رأى ذئب تتجول في غابته أحزنه ذلك
ولكنه يردد في نفسه دائماً:

- ماذا نستطيع أن نفعل ؟

اقتربت الذئب من شجرته دون أن تراه فسمعهم
يتحدثون:

- ما أجمل هذه الغابة !

الثاني: سوف تصبح يوماً ما لنا.

- وكيف ذلك ؟

الثاني : بالمكر والخداع.

يأتي الذئب بحجرين متفاوتين الحجم، أحدهما
ضعف حجم الحجر الآخر، ويضع الصغير على الأرض
ويخاطب الجميع:

- هذه غابتنا... التي يدعون أنها مقدساتهم .

ثم يضع الحجر الكبير أمامه

- وهذه غابة النهر العذب

أحد الذئب : تريد أن تقول..

- نعم ... إذا سيطرنا على هذه الغابة
فسوف نكون في أمن من اعتداءات الغابات الأخرى.

أحد الذئاب: بالفعل يجب أن يكون ذلك لأن
هذه الغابات، غابة واحدة في الأصل... أهلها يحملون
تعاليم خالقهم التي تقول بالقضاء علينا، ومهما طال
الزمن فسوف يتحدون ويحاولون القضاء علينا ...
لذا لا بد من السيطرة على هذه الغابة لتكون درعاً لنا
لا سهماً في صدورنا.

انتبه الغراب إلى نمر متخفي بين الأشجار يستمع إلى قول
الذئاب، وما أن سارت الذئاب عدة خطوات حتى هجم النمر
على الذئاب وقتل سبعة منهم، وهرب بعيداً والغراب
مندهشٌ من شجاعة النمر، طار الغراب فوجد الحصان
والفهد فأخبرهما بما جرى فقال الحصان :

- ماذا يا ترى سيحدث للنمر؟

الفهد: لقد مرت عشرات السنين والذئاب
يسلخون جلودنا لصنع معاطف لهم ولأسيادهم في
البلاد البعيدة... وأقفاصهم مليئة بنا، حرقوا
أشجارنا ليشبوا لحوم إخواننا عليها.

الحصان: ألا تتذكر اللبؤات اللواتي بقروا
بطونهن وهن حوامل؟! ... ورؤوس النمر التي
حنطوها لتكون تحفاً في قصورهم ... والفهود التي
ساختها لأنها رفضت أن تلجم بلجامهم أكثر من
مليون ضحية لهم.

وأثناء حديثهم جاء الأسد وقد علم بالخبر

الحصان: (للأسد) هل علمت بالأمر؟

وتساءل الأسد:

- ماذا ياترى سيفعل بالنمر، فقد تم القبض
عليه من قبل حرس الغابة.

الغراب: سيقطع رأسه ويعلقه على أعلى
شجرة ليكون عبرة لغيره... لا فائدة من المقاومة...
فنحن فريسة سهلة للإهانة والعدوان.

الأسد: ليس لك عمل سوى النعيق.

الحصان: أنت مثبت للعزائم.

الغراب: أنا كذلك فعلاً ... ولكنني أصبحت كما
قلت من رؤية الخيول وهو تروض على الركوع ... من
رؤية الصقور وهي تكسر أجنحتها ... من قطع الفحم
التي كانت نسوراً ... من الأقفاص التي ملئت بالأسود

الحصان: لولا وقوف أهل الغابة في وجههم
لأصبحنا اليوم في حديقة يتنزه بها صغارهم.

الفهد: لا تجعل يأسك وتشاؤمك يحولك إلى
خائن وأنت لا تعلم.

تركهم الغراب وطار إلى شجرته العالية الكاشفة لجميع
الغابة وتساءل في نفسه:

- هل يعقل أن يكون تشاؤمي رصاصاً في

بنادق الذئاب ... هل يعقل هذا؟؟

وأثناء تأمل الغراب في يأسه مرّ الأرنب والدبّ

من تحت شجرته وسمعهم يتحدثان:

الدّب: لا أدري كيف أصبح النمر بطلاً ... ؟ هل
من البطولة أن نقتل أصدقاءنا ... ؟ هذه ليست
بطولة بل خيانة وغدر ...

الأرنب: ماذا سنفعل لو جاء الصيادون ليثأروا
لهم ... ؟ يا ويلتنا ... يا ويلتنا ... نمر طائش.

الدّب: لو فعل هذا ... عندما كان الذئب
يصطادون إخواننا وأبناءنا لكان أمراً مقبولاً، أما الآن
في عهد السلام فهذه جريمة.

الأرنب: يجب أن نعلن البراءة من هذا الغادر.

أخذ الغراب يتأمل قول الأرنب والدّب ويستنكره في داخله،
فدخل الخوف في قلبه، وحمله يأسه وكلامه على عدم
جدوى المقاومة، فأشبهه الدّب والأرنب من حيث لا يعلم.

وبعد أيام حُكِم على النمر بالسجن مدى الحياة في سجن
مظلم.

ومضت الأيام والذئب لم تنس ما فعله النمر، رغم أنه
مسجون مدى الحياة في كهف مظلم في أقصى غابة النهر

العذب، وفي ذات يوم دخل ذئبان إلى غابة النهر العذب
خفيةً، وأطلقوا النار على أحد جمال الغابة ولكن الطلقات
أصابت سنامه وفخذيته، ولم يمت لكنه وقع على الأرض من
شدة النزيف، وقام أهل الغابة بأسر الذئبين وقدموهما إلى
زعيم الغابة، ولكن زعيم الغابة أطلق سراحهما فغضب
أهل الغابة وطالبوا بالإفراج عن النمر ولكن دون جدوى،
ولما تأكد الحصان أن النمر لن يطلق سراحه فعند شروق
الشمس أصبح يغني على الدوام هذه الأغنية:

نار ... نار ... نار

نار فوق الأشجار

نار تحت الأنهار

نار في وسط الظلمة

نار تغتال البسمة

نار ... نار ... نار

يا نمر ... يا نمر ... يا نمر

قل للأعداء أنك ما زلت تقاقل

رغم ظلمة الكهف وقضبان المعاقل

وسياتي ويصدق وعد الأجداد القائل

بوقوف النمر خلف النهر تقاقل

نار ... نار ... نار

وأصبح الأسد عند غروب الشمس يغني على الدوام بصوت
حزين:

أيها النهر ... ابق لا ترحل

فقطرات من الدماء لا تعكر فيك الصفاء

والماء الدخيل معها عظم لا يسلبك النقاء

ابق لا ترحل

حتى لو سرت بلا ماء

وجريت برفات الأبناء

وملئت بدموع حراء

وأصبحت حميماً في الشتاء

ابق لا ترحل

كيف تموت وأنت شعارنا في الحياة؟

كيف تركع وأنت ترفع لنا الجباه؟

ابق لا ترحل

أما الغراب فبقي على شجرته العالية يتألم على النمر
والجمل وعلى الغابة ولكن دون أن يتحرك لأنه ما زال مهزوم
في داخله وأثناء ذلك مرّ من تحت شجرته الأرنب والدّب
وسمعهما يتحدثان :

الدّب: الجيد في الذئاب أنهم اعتذروا عن
فعلتهم القبيحة وأعلنوا توبتهم ... وخير الخطائين
التوابون.

الأرنب : اعتذارهم انتصار لنا ... لقد دفعوا
ثمن فعلتهم الغبية اعتذاراً صاغراً.

ابتعد الأرنب والدب عن شجرة الغراب، أحس الغراب
بالغضب من كلام الأرنب والدب وهذا الغضب مع تأمله فيما
يجري أخذ يؤثر فيه كثيراً.

ومضت الأيام وحدثت صداقة بين الذئب والدب والأرنب،
وتبادلت بينهما الزيارات وفي ذات يوم قتلت الذئب الدب
والأرنب وسلخت جلدهما وأخذت الجلد لصنع معاطف لهم،
وألقت بجثتيهما في غابة النهر العذب، رأى الغراب
الجثتين من فوق شجرته العالية فأخبر أهل الغابة، ف جاء
أهل الغابة وشاهدوا المنظر البشع فقام أهل الغابة
بتكفيئتهما وحفروا قبرين ودفنوهما وبعد الدفن وقف
الأسد عند القبرين وقال:

- من كان يصدق هذا؟... الدب قتله حسن
الظن بالذئب ضرب بأوامر الله عرض الحائط... قلنا
له كثيراً: إنهم لن يرضوا عنا حتى نكون في أقفاص
لهم... إنهم أهل غدر وخيانة... لا عهد لذئب... أما
الأرنب فقد عاش عمره مرتعباً من صوت
طلقاتهم... ظن أن الصيد قد ولى زمنه... ولكن
هيهات سيبقى الصيد ما بقي في الغابات ذئب.

الحصان: وداعاً أيها الدّب.. وداعاً أيها الأرنب.

لا نريد لأهل الغابة أن يموتوا ميتة كهذه، بل
واقفون كأشجار غابتهم.

الغراب: إنني أسمع بكاء الغابة كل يوم في
صفير البلابل في حلم الأزهار المثخن بالطعنات
والجراح، لقد عشت عمري يائساً متشائماً... أنشد
لحن الهزيمة في داخلي... حتى كدت أن أصبح حربة
في يد الذئب أطعن بها عفاف غابتي... كان نعيقي
يجلد أحرار الغابة ولكن بعد ما حدث... سيواجه
نعيقي الى فوق رؤوس الذئب، إما أن يخرجوا وإما أن
يدفنهم سهيل الخيول وزئير الأسود.

ومضى أهل الغابة وتعلموا الكثير من درس الدّب والأرنب
وتعلموا أيضاً أن الأعداء يجب أن يبقوا أعداء

النهاية

صِراعُ الأَقْصى

مع

الهِيكَل

(قصة للفتيان)

زياد غزال فريجات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أخبرتني جدتي أن جدي عندما سمع بخبر اقتراب قوات اليهود من القدس سنة سبع وستين؛ حمل بندقيته وكتابه الذي كتبه عن الأقصى وهرع إلى المسجد الأقصى، حيث كنا من سكان القدس، وعندما وصل وجد في ساحات الأقصى مجموعات من المسلحين جاءت لحماية المسجد الأقصى وكانت هذه المجموعات تضم عدداً من أهالي الضفة وعدداً من الجنود الأردنيين، وعندما اقتربت القوات اليهودية قاتل الجميع ببسالة واستشهد جدي ، وأخبر جدتي مَنْ قاتل مع جدي أنهم شاهدوه يحضن كتاباً من تأليفه اسمه (صراع الأقصى مع الهيكل) وهو يردد:

- لن تشد الرحال إليك بعد اليوم أيها الأقصى

الأسير..... بدأ الطريق لهدمك يا أقصى .

وأحضروا لجدتي كتابه المخضب بدمائه الطاهرة، فعانقته بعينيها الغارقتين بالدموع . وبعد احتلال القدس؛ نرحت جدتي مع والدي - وهو طفل صغير-

إلى العاصمة الأردنية عمان، وفي سنة 1990 تزوج أبي من أمي وكانت أمي كلما حملت بجنين تنزله في الشهر السابع أو يموت أثناء الولادة، واستمرت أمي على تلك الحال ثماني سنوات حتى حملت بي، وتروي لي أمي أنها وهي حامل بي في الشهر السابع بينما كانت تجلس على مائدة الطعام تنتظر أذان المغرب في رمضان أحست بحركتي في أحشائها فتصاعدت حركتي فخافت أمي كثيراً أن تفقدني، فنظرت من نافذة الغرفة إلى السماء وتضرعت إلى الله عز وجل:

- اللهم مكني أن أرى ما في بطني فتى يركض ويلعب وإني أعاهدك أن أعلمه حب مسرى رسولك.

وقد استجاب الله لأمي دعوتها وقد وفت أمي بعهدا لله عز وجل فقد علمتني حب مسرى رسول الله فعندما بلغت الخامسة كنت أردد كل يوم قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، وفي كل يوم أردد هذه الآية أمام أمي، ولما دخلت الصف الأول علمتني أمي حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تُشَدُّ

الرُّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ،
وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى) وَأَصْبَحَتْ أُرْدَدُ الْآيَةَ وَالْحَدِيثَ كُلَّ يَوْمٍ أَمَامَ
أُمِّي، وَلَمَّا بَلَغْتَ الصَّفَّ الثَّلَاثَ حَفِظْتَ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ
كَامِلَةً، وَكَثِيرًا مِمَّا كَانَتْ أُمِّي تَسْتَوْقِفُنِي عِنْدَمَا أَصِلُ إِلَى إِمَامَةِ
الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلنَّبِيِّينَ
وَالْمُرْسَلِينَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَتَقُولُ لِي:

- إِنَّهُ الْمَسْجِدُ الْوَحِيدُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الَّذِي
صَلَّى فِيهِ الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا يَا عَبْدَ الْمَغِيثِ.

وَلَمَّا بَلَغْتَ الصَّفَّ الثَّامِنَ رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ شَجْرَةَ ضَخْمَةً
وَتَحْتَهَا صَنْدُوقٌ وَسَمِعْتَ صَوْتًا يُخْرَجُ مِنَ الصَنْدُوقِ يَقُولُ:

- ضَعُ مَا فِي دَاخِلِي دَاخِلَ الْحَفْرِيَّاتِ الْمَوْجُودَةِ
تَحْتَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى حَتَّى لَا يَهْدَمَ .

فَأَسْأَلُ الصَنْدُوقَ فِي الْمَنَامِ:

- كَيْفَ أَذْهَبُ إِلَى الْأَقْصَى وَالْيَهُودَ عَلَى
الْحُدُودِ. فَيَجِيبُنِي الصَنْدُوقُ:

- عِنْدَمَا تَحْمَلُنِي فَلَنْ يِرَاكَ أَحَدٌ .

استيقظت من النوم وأنا خائف بل مرعوب، فهذه الشجرة أعرفها جيداً تقع على الطريق الواصل بين عمان ومدينة السلط، وأشاهدها كلما زرنا دار خالتي في مدينة السلط.

وبقيت مستيقظاً حتى الفجر فتوضأت وصليت الفجر مع والدي في المسجد، وفي الليلة التالية رأيت نفس المنام فاستيقظت مرعوباً أشد من الليلة الماضية، وبقيت كذلك مستيقظاً حتى الفجر، وفي الليلة الثالثة رأيت نفس المنام مع زيادة يقول فيها الصندوق:

- لا تتأخر، اذهب قبل أن يهدم الأقصى، لا تتأخر.

وبقيت مستيقظاً وقمت بإفراغ حقيبتي من الكتب ووضعت فيها فأساً صغيراً نستخدمه لقلب تربة حديقة المنزل وبعض الطعام، ثم صليت الفجر، ولما غادر والدي إلى عمله حملت حقيبتي كأني أريد الذهاب إلى المدرسة وركبت الباص المتوجه إلى السلط ولما رأيت الشجرة، نزلت من الباص وتوجهت نحو الشجرة وجلست تحتها وتناولت طعامي ثم بدأت بالحفر، وخلال عشر دقائق ظهر الصندوق وإذا برجال ثلاثة يقتربون مني فخفت فأسرعت في الحفر حتى سحبت

الصندوق من الحفرة وإذا بالرجال الثلاثة فوق رأسي فسألني
أحدهم:

- ما هذا الصندوق ؟

فحملته على الفور فاخفيت، ففزع الرجال الثلاثة
وسمعتهم يقولون:

- لقد اختفىلقد اختفى.

أدركت عندها أنه لا يراني أحد وحملت حقيبتني ووقفت
بجانب رجل ينتظر الباص ليذهب إلى عمان، فلما وقف
الباص ركبت دون أن يراني أحد ودخلت البيت ومررت بجانب
أمي ولم ترني وذهبت إلى غرفتي وأخفيت الصندوق وفي
الليل فتحت الصندوق فوجدت به ورقة صغيرة تقول أن ما
بداخل الصندوق هو فطر حجري يوضع في الشقوق فينمو
داخل الشقوق حتى تلتحم، والمطلوب مني هو أن أضع هذا
الفطر داخل الحفريات التي يقوم بها اليهود تحت المسجد
الأقصى، وفي الصباح عندما ذهب أبي إلى عمله أخبرت أمي
بالقصة كاملة وجعلتها تنظر إلي وأنا أختفي عندما أحمل
الصندوق، فخافت أمي علي كثيراً وقلت لها وأنا أشير إلى
الصندوق:

-الأقصى يريد هذا .. لقد فهمت رسالة
الأقصى فهمتها جيداً.

أمي: - وما شأن الأقصى بهذا الفطر.

-الأقصى يريد هذا ليوضع في الحفريات
والأنفاق التي تحته لينمو فيها ولا ينهدم، هذه الرؤيا
نداء من الأقصى وأنا سأجيب النداء، أنا ذاهب إلى
الأقصى .

أمي:- بل أنت ذاهب إلى جبل المشنقة أنت
صغير لا تعرف كيف تسير الحياة.

-ولكني أعرف كيف أسير إلى الأقصى لا وقت
للتأخير .

أمي :- لن أدعك تذهب... لن تذهب.

-والأقصى ؟

أمي :- للأقصى رب يحميه.

- وربّ الأقصى هو من أكرمني... بالرؤية

وبالفطر.

أمي :- بل لن تذهب ... لن أسمح لك.

وعندما رأيت إصرار أمي أخرجت من خزانة أبي كتاب جدي
(صراع الأقصى مع الهيكل) وما زالت الدماء عليه.

- هذا الكتاب الوحيد الذي كتبه جدي، أنا من

يكمل المشوار.

أمي:- لن تفعل شيئاً للأقصى سوى أنك

ستموت وأنا أفقد عقلي وتدمر حياتي....لن
أسمح لك بالذهاب لأنك واهم ...الأقصى لا ينادي
أحداً لحبل المشنقة .

- أمي ! أنا ذاهبفعليك أن تختاري

بين أن أذهب دون أن أراك وبين أن أذهب وأنا أقبل
رأسك وأطلب منك الدعاء.

سأرجع.... صدقيني سأرجع.

قَبَلت رأس أُمي وِغادرت نحو الأَقصى، وسرت مع الصندوق
دون أن يراني أحد، ولما وصلت منطقة قريبة من البحر
الميت اكتشفت أن اليهود أَعَدوا كل شيء لبناء الهيكل
وجهزوا ست ملايين حجر من كسارات ليفي جنوب بئر السبع
حسب ما سمعته من المهندسين الذين يقفون بجانب
الحجارة، كما تم إعداد فريق البناء الذي يقف رهن الإشارة،
وقد انتهى تجهيز المذبح أو القبلة في منطقة قريبة من
البحر الميت، لقد رأيت كل ذلك بعيني، وسمعته ممن
يعملون هناك.

من الأشياء التي سمعتها و علقته في عقلي من فريق بناء
الهيكل قول أحدهم:

- إذا هدم الأَقصى سيفجر بركان الغضب عند
المسلمين.

فرد عليه آخر مبتسماً:

- الأَقصى فاتر في قلوب المسلمين، والقلوب
الفاترة لا تفجر البراكين، ولن تضجّ على هدم
الأَقصى أكثر من ثلاثة أيام، الهيكل سيصبح حقيقة
على الأرض نحن والهيكل وجهين لعملة واحدة.

كم أنا مشتاق لأرى الهيكل، كم أنا مشتاق

لأصلي في الهيكل ؟

ومضيت إلى الأقصى ودخلت في نفق يصل إلى تحت المسجد الأقصى فذهلت مما رأيت، رأيت كنيسةً كبيراً تحت المسجد يتعبد فيه اليهود، ورأيت نفقاً تحت الأقصى يصل تسعة أمتار ويسير مئة متر باتجاه الحائط الجنوبي... إنه خنجر في خاصرة الأقصى، والحفر ما زال مستمراً، والأنفاق تزداد وتتسع، ورأيت على بعد أمتار من حائط البراق شمعدان الهيكل يدخل إلى الهيكل فور بنائه على أنقاض المسجد الأقصى، وسمعت من الذين يشرفون على الحفر أن جزءاً من الأقصى يسمى المحكمة سيبنى عليها أكبر كنيس في العالم سمعتهم مراراً وهم يحفرون يصرخون معاً :

-يعيش الهيكل.....يعيش الهيكل

.....يعيش الهيكل.

لو لم تكن موجوداً في تاريخنا لاخترعناك

يا هدف قتالنا.....يا قمة عزناسنراك

قريباً

لقد أحرزني ما شاهدت وسمعت، وخرجت من تحت المسجد
الأقصى وسرت في ساحاته باكباً، وأثناء سيري رأيت الشيخ
رائد صلاح فرويت له قصتي، فابتسم وقال لي:

لا تحزن، الأقصى لن يهدم وهو الآن ليس
بحاجة للفطر، الأقصى كان بحاجة إلى الفطر لأن الأمة
كانت مقيدة لا تستطيع الوصول إليه أما الآن فهو لا
يحتاج الفطر لأن الأمة بجانبه، اذهب إلى أمك وأبيك
فهم في غاية القلق عليك.

ورجعت إلى بيتي إلى أمي وأبي، وأخبرتهم بكل ما شاهدت
وسمعت وقلت لهما:

الأقصى لا يريد الفطر...إنه يريد الأمة أن
تستمر في الحركة, ولن يهدم ما دامت الأمة تسير
نحو عزتها وكرامتها...إنها أجمل أيام الأقصى منذ
الاعتصاب... الأقصى سعيد ... مرفوع الرأس يا أبي
...الأقصى أصبح قوياً يا أمي .

وعندما جاء الليل ذهبت إلى غرفتي, ووضعت
رأسي على وسادتي وغرقت في نوم عميق, ورأيت في
منامي أن أحجار الأقصى تحتفظ بدماء الشهداء

ساخنة يملؤها الأمل، ورأيت قبته تختزن غبار
المعارك المقدسية وهي مرفوعة الهامة وتنظر بفخر
إلى الثورات العربية التي وُلدت من رحم الإسلام،
والتي تعيش أجسادها بعيداً عن الأقصى ولكن
أرواحها المهاجرة إلى الأقصى تحوم حوله لتهتف
نشيدها الخالد ... قادمون .. قادمون ... قادمون ...

النهاية

دَوَامَةُ الْإِنْتِقَامِ

(قِصَّةٌ لِلْفَتِيَانِ)

زِيَادُ غَزَالِ فَرِيحَاتِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

في جزيرة وسط البحر، كانت مجموعة من المها تعيش حياة آمنة مطمئنة، فلا تخشى الافتراس من وحش يرتبص بها، ولا قحطاً تعاني منه المجاعة والعنت، وقد حباها الله ميزة ليست لغيرها؛ وهي تضاعف قوتها عشرة أضعاف في فصل الشتاء، واستغلت قوتها في بناء البيوت والسدود حتى تحتفظ بمياه الأمطار؛ مما وقاها من القحط والجفاف، واستغلت قوتها أيضاً في بناء سور ضخم حول الجزيرة؛ لصد أمواج البحر العاتية، والأعاصير التي تكثر حول الجزيرة . عاشت المها في الجزيرة ولم تر في حياتها سوى نوعها، ولم تتعامل مع غير نوعها؛ لأن الجزيرة لا يسكنها سوى المها، على بعد عشرات الكيلومترات من جزيرة المها، جزيرة أخرى يسكنها النعام الذي احترف الجمال وعشقه، وتعامل مع البراكين الموجودة في جزيرته بخبرة وحنكة ودكاء، ومن تجميله للجزيرة أن جعل من جزيرته المليئة بالأشجار المتشابكة متنزهات للترويح عن النفس، ومن الورد المتناثرة والمبعثرة حديقة جميلة، أما البراكين فقد وجدت في جزيرة النعام براكينٌ تثور كل ثلاثة سنوات، وقد حبا

اللَّه النعام بنعمة ليست لغيرها وهي تضاعف قوتها عشرة أضعاف فصل الربيع، وقد استغلت قوتها لتزيين الجزيرة وتجميلها، وعمل مجرى للبركان يصل للبحر لتصب فيها الحمم حتى لا تحرق الجزيرة، وقد احترقوا صناعة الجمال والتعامل مع البراكين إلا أن النعام يعيش وحده على الجزيرة، فهو لم ير غير نوعه ولم يعاشر أنواعاً أخرى تختلف عنه.

وعلى بعد عدّة أميال من الجزيرتين جزيرة ثالثة يقطنها الكنغر الذي احترق الزراعة واستصلاح الأراضي وتخزين الطعام، وادخاره لوقت الحاجة، وقد أعطاه الله - تعالى - خاصية لم يعطها لأحدٍ غيره وهي تضاعف قوته إلى عشرة أضعاف في فصل الصيف، إلا أنه - مثل المها والنعام - عاش في جزيرته مع نوعه فقط فلم يتعامل مع غير نوعه كما أنه لم ير أنواعاً أخرى.

وفي ليلة ظلماء من ليالي فصل الخريف ضرب إعصار الجزر الثلاث، ولم تشهده الجزر في تاريخها، ولم تستطع الأسوار الشاهقة في جزيرة المها أن تقف في وجهه، أو أن تصدّ عتوّ أمواجه ورياحه وبدأ الإعصار يقتلع كل شيء يقف أمامه،

ويرمي به إلى البحر، كل شيء: النعام والمها والكنغر كلهم في وسط البحر تتقاذفهم الأمواج بقسوة.

هدأ الإعصار وتلاشى تدريجياً، وعلى رمال ناعمة لجزيرة لم يعرفوها من قبل، ولا يعلمون في أي اتجاه هي، فتحت عائلة المها عيونها على ذلك، سارت عائلة المها تستكشف الجزيرة فوجدت في منتصف الجزيرة أشجاراً كثيرة متشابكة مما جعل المشي بينها شاقاً ولكنها استمرت في المسير حتى وصلت إلى بركان في وسط الجزيرة ومضت في طريقها إلى الجهة الأخرى من الساحل، تفاجأت بعائلة الكنغر جالسة تتأمل المصير الذي صارت إليه، أخذ ينظر كل منهم إلى الآخر بارتياح، فكل واحد منهم لم يعتد رؤية غير نوعه، ألقى الكنغر التحية وسأل المها عن الجزيرة ومن يعيش فيها فأخذ المها يسرد قصة الإعصار الذي قذف به وبعائلته على هذه الجزيرة، وتجادب الجميع أحاديث الإعصار وكيف نجوا من الغرق بفضل الله .

بدأ الليل يسدل ستوره على الجزيرة وخيم ظلام موحش، دب الخوف في قلوب الجميع، وفي وسط سكون الليل المخيف صراخ يتصاعد يطلب النجدة.

– النجدة أنجدونا أنجدونا النجدة.....

قال الكنغر الأب:

إنه صوت مجموعة وليس صراخ فرد.

المها الأب :- إن مصدره من جهة الأشجار المتشابكة
عند البركان إنهم في وسط الجزيرة.

الكنغر الأب: وماذا علينا أن نفعل ... ربما أن هناك
وحش بل وحوش تفترس تلك المجموعة.

المها الأب : أخشى أن يأتوا إلينا في الصباح أو قبل
الصباح.

وخيم رعب شديد على الجميع، رعب أجبرهم على القعود
والصمت والتفكير فيما هو قادم.

هذه الليلة هي أشد الليالي التي عاشوها في حياتهم؛ فقد
اعتادوا عيش الأمن والاطمئنان، وهذا الخوف من المجهول
دفعهم فطرياً إلى اللجوء إلى الله - عز وجل - بقلوب لا
يخالطها شك، ورسخ في قلوبهم أن لا منجأ لهم إلا الله خالق
كل شيء، وانهمكت عقولهم وألسنتهم بذكر الله تعالى.

قال الكنغر بصوت ينساب معه اليقين:

-أتعلم أيها المها أن ما حدث الليلة هو أقسى ما
لاقيتته في حياتي، ولكنها أيضاً أكثر ليلة أحس بها بالقرب
من الله تعالى، هذا القرب هون علينا كثيراً من قسوة
الليلة وأزال كثيراً من ظلام ليلاها في قلوبنا.

قال المها معتبراً بما قال الكنغر:

-أتري لو أن قلوبنا لم تنشغل بذكر الله ودعائه
ماذا حصل بها؟! لا بد أنها سوف تتشقق أو تتمزق.

وجاء الصباح مبعداً وحشة الظلام، وكاشفاً لما ستره الليل،
صوت يقترب شيئاً فشيئاً نحو المها والكنغر، ويتصاعد
الخوف من المجهول القادم، ومع ازدياد وتيرة الصوت المتجه
نحوهم، ظهرت عائلة من النعام على وجهها وريشها بقع
من الدماء، مما جعل منظرها مخيفاً، ظن الآخرون أنها تلك
الوحوش التي افترست ضحاياها بالأمس، تراجع الكنغر
والمها إلى الوراء والفرع ظاهرٌ عليهم، والنعام يطوف ببصره
عليهم، والخوف يأكل قلبه؛ فهو لم ير في حياته غير نوعه،
وها هو يرى نوعين لم يرهما من قبل ولا يدري أهم أعداء
أم أصدقاء؟

ولما رأى النعام الجميع يرجعون إلى الوراء بخطى حذرة،
أدرك أن من أمامه ليسوا أعداءً، أو على الأقل ليس في
نيتهم الاعتداء عليه.

تقدم خطوات وألقى التحية، رد الآخرون بأصوات مرتجفة،
عندها ازداد النعام طمأنينةً، فأخذ يقص عليهم قصة
مجيئه إلى الجزيرة، وما حصل ليلة أمس عندما علق هو
وعائلته بالأشجار المتشابكة ما تسبب لهم ببعض الجروح.
ثم روى الجميع للنعام أحداث وصولهم إلى الجزيرة.

جلس الجميع معاً وهم أنواع مختلفة لم يعتقد كل منهم أن
يرى أو يتعامل إلا مع أبناء نوعه، جلسوا معاً أياماً ثم
انتشروا في أرجاء الجزيرة.

اختر المها منطقة الساحل واتخذها مستقراً لهم حيث كانوا
يستوطنون الساحل في جزيرتهم السابقة، واستقر النعام
في وسط الجزيرة حيث الغابة الواسعة ذات الأشجار
المتشابكة التي يليها البركان، وسكن الكنغر في الأراضي
الخصبة وما حولها، وهي أرض تحتاج إلى إصلاح، وقد احترف
الكنغر الزراعة في جزيرته السابقة واستصلاح الأراضي
وتخزين الطعام.

ومضت الأيام ومضى معها فصل الخريف وجاء فصل الشتاء وتصاعدت قوة المها إلى عشرة أضعاف، سارع المها إلى بناء البيوت لهم وحدهم والأسوار حول الشاطئ الذي يسكنوه فقط، والسدود في مناطق سكنهم، وازداد انهماكهم في البناء فطلبوا من الكنغر والنعام أن يحضروا لهم الطعام والماء أثناء العمل فوافقوا بشرط أن يبنوا لهم بيوتاً كبيوتهم وأسواراً كأسوارهم، فوافق المها، وانهمك الكنغر والنعام مع عائلتيهما في خدمتهم، ولما انتهى المها من البناء طالب الكنغر والنعام المها بالوفاء بعهدهم، ولكن المها رفضت، فغضب الكنغر والنعام، ولكن ليس باليد حيلة فهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً أمام قوة المها، فولوا مغادرين إلى أماكنهم، صاحت المها قائلة : لا تنسوا أن تأتوا غداً لخدمتنا، صعق الكنغر والنعام من هذا الطلب فالبناء قد انتهى، صاح المها وغرور القوة يملأ قلبه :

- إن لم تأتوا غداً وتفعلوا ما كنتم تفعلوه بالأمس
أتينا بكم مجبرين.

ازدادت دهشة النعام والكنغر ومضوا في طريقهم.

قال النعام الأب : إنهم يريدون أن نكون خدماً لهم ..
بل عبيداً.

الكنغر الأب : وماذا عسانا أن نفعل أمام قوتهم؟

النعام الأب: نرفض طبعاً .. وهل هناك خيار سوى
الرفض.

وجاء اليوم التالي وانتظرت المها النعام والكنغر ليأتوا
لخدمتهم ولكن لم يأت أحد، فذهبت المها إلى منطقة النعام
أولاً وطالبوهم بالمجيء معهم للخدمة فرفض النعام رفضاً
قاطعاً، ولما رأى المها رفض النعام بهذه الحدة صنعوا من
فروع النباتات حبلاً وأوثقوا النعام بها، وصنعوا من أغصان
الأشجار قيوداً وجروا بها النعام إلى منطقة الكنغر وطلبوا
منهم المجيء معهم ليقوموا بخدمتهم وإلا أصابهم المصير
الذي يشاهدونه أمامهم.

قال الكنغر في نفسه : سوف أصبر حتى يأتي الصيف
وعندها سأضع حداً لعدوانهم وظلمهم. ذهب الكنغر معهم
دون مقاومة، وخدمت عائلة الكنغر المها، وفي النهار مارس
الكنغر الزراعة إلى منتصف الليل ثم نام وهو في غاية

التعب، وفي كل يوم يمضي ينتظر الصيف كي يضع حداً
للذل والمهانة.

أما عائلة النعام فبقيت رافضة، فقام المها بربطهم
بالأشجار وقيدهم بأرجلهم وحرموهم الطعام والماء إلا
قليلاً يبقيهم على قيد الحياة، وفي كل يوم يمضي يتراكم
الحقد في قلب النعام وينشغل فكره بشتى أنواع العذاب
التي سيذيقها للمها عندما يحل الربيع.

ومضت الأيام ومضى معها فصل الشتاء وجاء فصل الربيع
وتصاعدت قوة النعام الى عشرة أضعاف ورجعت قوة المها
إلى حجمها الحقيقي، عندها مزق النعام قيوده واتجه فوراً
إلى المها ووقف فوق أسوارهم صارخاً..

النعام: أيها المها!!!! يا أهل الظلم والعدوان ...
اليوم ستذقون ما ذقناه بالأمس...اليوم ستشربون الكأس
الذي شربناه.

سَخِرَ المها من قول النعام لأنهم لم يعلموا بتضاعف
قوته وقال لهم المها الاب:

- يبدو أن العقاب الذي ذقتموه ليس كافياً لذا
سترون الآن.

وهجم المها على النعام، ولكن النعام اليوم ليس كالنعام
في أمس، والمها اليوم ليس كالأمس، فوجئ المها بقوة
النعام، وأدركوا أن لا مجال للمقاومة، رغم أنهم لم
يستسلموا، ولكن النعام بقوته أخضعهم مجبرين، وجاء
بنفس الحبال التي ربطوه بها ولكن بأشد قسوة، وبالقيود
التي قيدوه بها وقيدهم بها، ولكن زاد عليهم قيداً آخر
جعل في رقابهم إمعاناً في إذلالهم.

حضر الكنغر الأب وعائلة النعام تجر عائلة المها، صاح
الكنغر بالنعام:

- قف .. هل تظن أن هذا سيدوم لك. الحياة
متداولة ليس لأحد فيها ثبات على قوة أو جاه إلا الله،
فالغابة الخضراء قد تصبح أرضاً جرداء والأرض الجرداء قد
تصبح واحة خضراء. اتركهم.

النعام الأب :- أتركهم؟! ... انظر ... انظر إلى الدماء
التي على أياديها وأقدامنا ما زالت تسييل لم تجف، بقوتي
التي لا تقاوم سوف أخضعهم.

الكنغر الأب : القوة لله جميعاً، يعطيها من يشاء
وينزعها ممن يشاء، لا يوجد أحد قوي بذاته إنما القوة
نعمة من الله.

لم يلتفت النعام إلى كلام الكنغر لأن غرور القوة أصم أذنيه،
جرّ النعام عائلة المها وربطهم حيث ربطوه وقيدهم حيث
قيده.

استغل النعام قوته بتزيين الغابة حيث يسكن، وجعل من
الأشجار المتشابكة متنزهاً جميلاً، وجعل من الأزهار
المتناثرة المبعثرة حديقة جميلة، ولكن لا يدخلهما إلا
النعام وحده، وأخذ يعمل مجرى للبركان يصل إلى البحر،
ولكنه جعل مساره من وسط منطقة المها تخريباً لما بنوه،
أما الكنغر فبدأ يجني ما زرعه في الشتاء يأكل قسماً ويخزن
قسماً، علم النعام بوفرة الطعام عند الكنغر فجاء إليه
وخاطبه قائلاً:

النعام الأب : أيها الكنغر خذ من حصادك ما يكفيك
وأحضر لنا الباقي.

قال الكنغر الأب وفي ذهنه قوة النعام وما لاقى من
عذاب:

- موافق ولكن بشرط إن يحول مسار البركان عن
منطقة المها ويصبح المتنزه والحديقة للجميع.

النعام الأب: أما المتنزه فلکم أن تدخلوه متى شئتم
كضيوف ولا حق لكم فيه، أما المها فلا نقبل شيئاً في
شأنهم.

الكنغر الأب: لا تجعل غرور قوتك يعميك عن رؤية
المستقبل. فأنت اليوم قوي وغدا ضعيف والمها اليوم
ضعفاء وغداً أقوياء، ستقعون في دوامه من العذاب
والخراب.

النعام الأب: المها من بدأ والبادئ أظلم.

الكنغر الأب: لا حلّ لكم إلا أن تعيشوا معاً ... إنكم
فوق عيشكم في شقاء بسبب استقواء بعضكم على بعض
أنتم تغضبون بكم. تغضبون الله.

ذهب النعام وكلمات الكنغر لا تفارق ذهنه، أخذ يفكر بما
بعد الربيع ويقول في نفسه:

- ماذا ستفعل المها عندما يأتي الشتاء من المؤكد
أنها ستستقوي علينا وتذيقنا العذاب والشقاء الذي يذقونه
الآن، أخشى إن عفونا عنهم أن يفهموا هذا ضعفاً منا
وبالتالي سيزدادون ظلماً... لا حل إلا إن يدفعوا ثمن ما
فعلوه بنا، هذا سيردعهم.

وأخذ النعام يزداد همماً وغماً عندما يفكر بمصيره ومصير
عائلته في فصل الشتاء وتزداد فيه قوة المها، وبعد أيام
ذهب النعام الأب إلى المها وهم مقيدون وقام بفك زوجة
المها وأبنائه قائلاً :

اذهبوا وعيشوا حياتكم كما تشاؤون.

أجابته زوجة المها:

- وكيف نعيش كما نشاء ورب الأسرة يلاقي العذاب

والشقاء

النعام الأب : هذا جزاء ما فعله بنا وهو من بدأ.

الزوجة: ألم يأمرك الله بالعفو... ألا تقبل أن تفوز

برضا الله وتعفو عنه.

صرخ المها الأب في زوجته: لا تطلبي منه العطف ...
غداً يأتي الشتاء، وسأجعله هو من يطلب العطف والرحمة
ولن أعطيه إلا العذاب والإذلال .

زوجة المها: ولكن ماذا بعد الشتاء، سيأتي الربيع
ونعود كما كنا.

المها الأب: اذهبي الى البيت، إنك تزيدين عذابي بهذا
الكلام اذهبي

زوجة المها : ولكن.....

صرخ المها بزوجته:

- اذهبي وإيّاك الكلام في هذا الموضوع.

ومضت الأيام ومضى معها فصل الربيع وجاء فصل الصيف
وتصاعدت قوة الكنغر لتصل إلى عشرة أضعافها قال الكنغر
في نفسه: إن الجميع لا يعلمون بقوتي فلا بد أن يعلموا
ذلك بلا ظلم أو اعتداء على أحد.

سارع الكنغر إلى المها وفك قيده ثم ذهب إلى مجرى البركان
وقام بهدمه شيئاً فشيئاً وجعله تلة كبيرة من الحجارة

الضخمة والجميع ينظر إليه، أدرك الجميع أن قوة الكنغر
تضاعفت في فصل الصيف، وظنوا أنه سينتقم منهم بما
فعلوه به، وقف الكنغر فوق التلة وقال:

الكنغر الأب: أيها الأخوة الكرام!

- استبشر الجميع خيراً عند سماع كلمة أخوة
وأحسوا أن الكنغر يريد بهم خيراً - لقد كنت فيكم بالأمس
مستضعفاً وها أنا اليوم أقواكم جميعاً، ولم أصبح كذلك
بجهد مني إنما هو فضل الله ونعمة أنعمها علي.

النعام الأب: ما أنت فاعل بنا هل ستنتقم؟!!

الكنغر الأب: أستطيع أن أفعل بكم أشدّ مما
فعلتموه بي، ولكني لن أفعل، سأعفو عنكم سأعفو لأن
الله أمرني بالعفو، وينهاني عن الظلم، وإنّ رضا الله عندي
أحبُّ إلي من رضا نفسي التي تأمرني بالانتقام.

زوجة المها: نريد أن نعيش معاً بسلام؟

الكنغر الأب: سوف نعيش بسلام بإذن الله، فأنا
أدرك أن قوتي لن تدوم وأن ضعفكم لن يدوم، فإن انتقمتم

وجئتم أنتم وانتقمتم فسنعيش في دوامة من العذاب
والعدوان.

ذهب الكنغر الأب الى عائلة النعام وقال لهم: ماذا تقولون
في ما سمعتم أيها النعام؟

النعام الأب: هذا كلام رائع .. ولكن ما هي الضمانة
على عدم استقواء بعضنا على بعض ؟!

الكنغر الأب: هي أن تأمنوا إن لا حلّ لكم إلا أن تعيشوا
معاً بلا استقواء بعضكم على بعض ... وأنت أيها المها ...
أسمعنا قولك.

نظر المها الأب نظرة حقد وهو ما يزال يشعر بألم القيود
على رقبتة وعلى يديه، وما زال يحس بألم الجوع والعطش
والبرد ينهش في بدنه وقال :

- عندما يأتي الشتاء سأسمعكم كلامي.

انصرف المها غاضباً وانصرف الجميع والخيبة تملؤهم من
طي صفحة الماضي .

استغل الكنغر قوته في استصلاح الأراضي للزراعة ووزع الأراضي الخصبة بالأشجار المثمرة والنباتات، أما المها فكان كل يوم يقف على تلة الصخور التي كانت مجرى للبركان بالأمس ليتذكر الماضي وما فيه من عذاب وإذلال، و ينتظر الشتاء لتزداد قوته ويذيق النعام أقسى مما ذاق .

ومضى فصل الصيف وجاء فصل الخريف، حيث لا يستقوي أحد على الآخر، وأخذت أيام الخريف تمضي وفي كل يوم منها يصعد المها كعادته على تلة الصخور وهو ينتظر الشتاء ويجتر آلام الأمس، وعندما أراد النزول تزلق وأخذ يتدحرج من فوق الصخور ثم ارتطم بالأرض وفقد الوعي، وإذا بصخرة تتدحرج وتستقر على رجليه، غربت الشمس ودخل الليل ولم يعد إلى بيته، فقلقت المها على أبيهم، فذهبوا إلى الصخور فهو المكان الذي اعتاد أن يذهب إليه، فوجدوه مغمى عليه، فحاولوا إبعاد الصخرة عن رجليه فلم يستطيعوا، فاستغاثوا بعائلة الكنغر فلبوا الاستغاثة على الفور وحاولوا إزالة الصخرة ولكنهم لم يستطيعوا، قال الكنغر:

- لا بد أن نرسل إلى النعام ليساعدونا.

أبدت زوجة المها شكوكاً حول النعام بما حصل لزوجها،
فأجابها الكنغر :

-إنني أعرف النعام جيداً فهو ليس غداراً فلو فعل
هذا لأعلنه للجميع ولكن غداً يستيقظ أبوكم وتظهر
الحقيقة.

جاءت عائلة النعام وتعاون الجميع لإزالة الصخرة والمها
فاقد الوعي ثم حملوه إلى بيته، قام الكنغر بتجبير أرجل
المها وقال:

-إنه يحتاج إلى أشهر عديدة ليستطيع الوقوف
لشدة الكسور وكثرتها في رجليه.

استفاق المها من غيبوبته ونظر إلى من حوله ببطء ثم
وقع بصره على الجبائر التي لفت أرجله، تأمل أرجله لحظات
ثم أغمض عينيه والدموع تسيل منها بصمت.

مضى فصل الخريف وجاء فصل الشتاء وتضاعفت قوة المها
ولكن المها الأب لم يستطع الوقوف رغم تضاعف قوته لأن
الجبائر ما زالت والكسور لم تجبر بعد، استغلت عائلة المها
قوتها في بناء سور حول الجزيرة كلها، وبيوت شاهقة

جميلة لجميع العائلات والكنغر يبعث للجميع ما يحتاجونه
مما ادخره من طعام.

ومضى فصل الشتاء وجاء فصل الربيع، وتضاعفت قوة
النعام فاستغل قوته بتزيين الغابة فأقام المتنزهات
والحدائق للجميع، وأقام للبركان مجرى يصل الى البحر، لا يمر
من أرض أحد.

وجاء فصل الصيف وتضاعفت قوة الكنغر، فاستغل قوته
في استصلاح مزيد من الأراضي للزراعة، وزرع المزيد من
الأراضي الخصبة، وفي منتصف الصيف شفي المها وأصبح
قادراً على المشي وأخذ يطوف الجزيرة، ويرى كم هي جميلة،
ورأى السور ومجرى البركان، فأحس بالأمان والاطمئنان، ورأى
الأراضي المزروعة الكثيرة ووفرة الطعام، وأكثر ما لفت نظره
اهتمام الجميع بتسبيح خالقهم وحمده على نعمه، ولولا
أنه يعيش في الجزيرة لظن أنها جزيرة أخرى، فازداد قناعة
أن الخير في عيشتهم معاً متآلفين، والشقاء والدمار في
عيشتهم متناحرين، يستقوي بعضهم على البعض الآخر،
وفي أثناء سيره التقى بعائلة النعام فبادره النعام بالتحية
على الفور وهنأه على شفاء الله له، فرد المها التحية ومضى
في طريقه ناداه النعام الأب قائلاً:

- أيها المها ... أما زال في قلبك شيء علينا ؟

وقف المها ونظر إلى النعام ولم يجب، ثم مضى في طريقه
ببطء.

صاح النعام ليسمع صوته :

- إن بقي في قلبك شيء فاعلم أن قلوبنا خالية من
أي كره أو حقد ضدك .

مضى المها في طريقه ولم يلتفت، علم الكنغر الأب بشفاء
المها، فهرع إلى بيته ولم يجده، فأخبر زوجته وأبنائه أنه
يرغب بعمل مأدبة في بيتهم من أشهى الطعام الذي ادخره
يدعو عليها الجميع بمناسبة شفاء المها، فرحت عائلة المها
فرحاً كبيراً بما قاله الكنغر وأثناء ذلك وصل المها الأب،
فتلقاه الكنغر بالأحضان، وحمد الله تعالى الذي أكرمه
بالشفاء وأخبر الكنغر المها بما عزم عليه بشأن المأدبة،
وقال له :

- أريد أن أدعو عليها الجميع ... الجميع .. !

هرّ المها رأسه موافقاً، وقال :

-نعم، الجميع ... الجميع.

فرح الكنغر بموافقة المها واستبشر أن الغابة مقبلة على
طي صفحة الماضي وفتح صفحة جديدة لا يستقوي فيها
أحد على أحد، وأن منهج الله هو الذي سيسود لا منهج
القوي على الضعيف، فالانتقام والاعتداء شغلهم عن
تسبيح الله عز وجل وحمده.

قام الكنغر بعمل المأدبة على شاطئ البحر المحاذي لمنطقة
المها في ليلة جميلة، ألقى القمر فيها ظله على البحر
والأمواج تداعب الشاطئ بحنان و الرياح تصافح الأشجار
ليصنعا من حفيفها أنشودة المستقبل، أكل الجميع
والفرح والسرور يغمرهم.

قام الكنغر وقال:- أيها الإخوة الكرام لقد عاش
الجميع في الماضي لا يتعامل إلا مع أفراد نوعه وأما اليوم
فنحن أنواع مختلفة، وهذه سنة الله في الحياة، فالله هو
الذي خلقنا مختلفين وسنبقى مختلفين، فالأشجار مختلفة
والأزهار متنوعة والأسماك متفاوتة، ونحن أيضاً أنواع
مختلفة .. قدرنا أن نعيش مختلفين .

قام النعام وقال: - لقد أنعم الله علينا بنعمة ليست للآخر، وهي تضاعف القوة في فصل معين، فإذا تعاون الجميع أصبحت هذه النعم مصدرًا للراحة والطمأنينة وإرضاء الله عز وجل، وإن تنازعنا انقلبت نعمًا تذيبنا العذاب والشقاء والدمار وما هو أكبر من ذلك كله وهو غضب الله عز وجل.

وقف المها مخاطباً الجميع:

- عندما جاء الشتاء وتضاعفت قوتي وأرجلي تعاني الكسور ولم استطع الوقوف ... تذكرت كلام الكنغر الذي لم أفهمه في وقته، وهو أن القوة لله جميعاً يعطيها من يشاء ويسلبها ممن يشاء.

اقترب الكنغر من المها ووضع يده على كتفه ، قال:

- لقد خلقنا لإرضاء الله وعلينا أن نتعهد معاً أن نسير على منهجه مسبحين بحمده، وإن تنازعنا في أمر لجئنا إلى ما يرضى الله فنكون حيث يرضى الله....

رد الجميع ... نكون حيث يرضى الله....

نكون حيث يرضى الله....

نكون حيث يرضى الله...

النهاية

و ك
الطَّوْقُ

و ك
والضَّبْعُ

(قصة للفتيان)

زياد غزال فريجات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

كان هنالك ضبع عجول في كل أمرٍ، في أكله وشربه، وفي جميع أمور حياته.

وفي أحد الأيام رأى ظبياً، وكعادته هجم على الفور دون أن يلاحظ أن الظبي لا يستطيع الحراك، فإذا بالضبع وسط كمين تنغرس فيه إبر المخدر، استيقظ الضبع وهو في قفص لم يره في حياته، وبجانبه قفص آخر داخله صقر، نظر الضبع حوله مستغرباً ثم حدّق بالصقر، سأله الصقر: من أي بلد أنت؟

لم يلتفت الضبع واستمر في النظر حوله مندهشاً.

الصقر: أنت من بيسان؟

التفت الضبع إلى الصقر

الصقر: أنت أقوى ضبع في فلسطين، كيف تمكنوا

منك؟ هذا غريب!!

الضبع: كيف عرفتني؟

الصقر: أنا من جبال نابلس، كنت أراك كثيراً وأنا أحلق
في السماء.

الضبع: أين نحن؟منذ متى وأنت هنا؟

الصقر: نحن في حديقة تل أبيب ... وأنا هنا منذ
سنتين.

الضبع: سنتان!! سوف أخرج من هنا قبل أن يمر
أسبوعان .

وجاء الليل وأصبح المكان خالياً إلا من الضبع والصقر،
أخرج الصقر من تحت جناحه قطع صغيرة من الحديد
المسّنن، وأخذ يسن أسفل القضيب الخلفي للقفص.

الضبع: منذ متى وأنت تفعل هذا؟

الصقر: من بعد وصولي إلى هنا بشهر، فبعد شهر
من وصولي وجدت هذه الحديدية بجانب القفص فأخذتها
وأخفيتها في جناحي، وبدأت مشوار خروجي من هذا
القفص.

الضبع: ولكن ما تفعله أشبه بالجنون، هذه الحديدية الصغيرة لن تفعل شيئاً .

الصقر: ولكنها تجعلني أعيش على أمل الخروج واستعادة حريتي.... وأن تعيش بأمل خير من أن تعيش بلا أمل .

سخر الضبع من كلام الصقر وقال بثقة عالية:

-* و لكني سأريك كيف سأخرج من هنا بأيام و ليس بعشرات السنوات .

وأنهى الصقر عمله المعتاد بأربع ساعات يومياً ثم أخفى أثر السن في القضيب و هو أثر لا يكاد يرى ثم بعثر بجناحه ما تساقط من برادة الحديد التي لا تكاد ترى أيضاً، و في اليوم التالي، جاء أربعة من عمال الحديقة ليقوموا بغسل الضبع بالماء والصابون، اقتربوا منه شيئاً فشيئاً، و في ذلك الحين كان هناك عاملان مستعدان، يحمل كل منهما ببندقية الحقن المخدرة، وفتحوا باب القفص فهجم الضبع عليهم وجرح أحدهم، ولكن ما لبث أن أطلق العاملان حقن المخدر عليه فوقع على الأرض دون حراك، نظف العمال الضبع وأعادوه إلى قفصه بعد أن قلموا مخالبه، استيقظ

الضبع في الليل والتفت إلى الصقر فوجده منهمكاً في
محاولة قص قضيب القفص، فقال له ساخراً:

-* أما زلت تعبت بهذه الحديدية...؟

الصقر: (مبتسماً) لقد كنت شجاعاً كعادتك ولكنك
كنت متسرعاً أيضاً..... التسرع أضربك، انظر إلى مخالبيك.
نظر الضبع إلى مخالبيه فوجدها قد نزعت، أغمض عينيه،
ومدد جسمه كأنه يريد النوم، وأخذت الدموع تسيل من
عينيه.

سارت الأيام ومضى على الضبع في قفصه ثلاثة شهور.

وفي الصباح جاء وقت تنظيفه، وكالعادة، قيده وأخرجوه،
وكان الضبع مطيعاً جداً هذه المرة، وعند إدخاله إلى القفص
هجم على من يحمل البندقية، وعض يده فوقعت البندقية
فهرب الضبع على الفور، ولكنه وجد سوراً عالياً لم يستطع
أن يتخطاه، وبدأ يبحث عن ثغرة أو منطقة في السور
يستطيع الخروج منها، ولكن دون جدوى، حتى أحس
بطلقات المخدر تنغرس في جسمه.

استيقظ الضبع ليلاً وفتح عينيه على الصقر المنغمس
كعادته في محاولة قص القضيبي، أخذ يراقب الصقر دون أن
يتلفظ بأي كلمة، التفت الصقر إليه فوجده مستيقظاً فقال
له:

-* هذه المرة كنت شجاعاً وقويماً ، وهذا معروف
عنك ولم تكن متسرعاً وهذا جديد عليك، ولكنك لم تكن
متأنياً بالقدر الكافي، التآني إذا لم يكن كافياً يضر صاحبه،
تفحص أنيابك.

وجد الضبع أنيابه قد نزعت فصرخ صرخة قوية ثم
وقع على الأرض مغشياً عليه، مضت الأيام والشهور
والسنوات، حتى مضى على الضبع أربع سنوات في قفصه،
وفي إحدى الليالي قال الصقر للضبع:

-* إذا خرجت من قفصك يوماً ، اذهب إلى بحيرة
طبريا وانتظرنى عندها في الليالي التي يكون فيها القمر
بدرًا وإذا خرجت أنا قبلك سأنتظرك بالمثل.

استيقظ الضبع بعد تلك الليلة وفتح عينيه واتجه نحو
الصقر ليحدثه ولكنه لم يجد الصقر، ووجد قضيبي القفص
مقصوصاً مرمياً على الأرض، فرح الضبع بانتصار الصقر

وخروجه من قفصه، ولكنه أحس بالحزن لأنه فقد صديقاً طيباً وحكيماً.

مضت الأيام والشهور وبعد ستة شهور من هروب الصقر أصيب الضبع بمرض أقعده وأصبح لا يستطيع المشي إلا بصعوبة، حاول أطباء الحديقة معالجته ولكن دون جدوى، وكان رأي الأطباء أن علاج الضبع يكون برجوعه للطبيعة وإلا سوف يموت، وأن على القائمين على الحديقة إرجاعه إلى الطبيعة؛ لأن بقاءه فيه ضرر للحديقة أكثر من نفعه، وفي حال تم شفاؤه فإنهم سيصطادونه مرة أخرى.

وبالفعل تم إرجاع الضبع إلى بيسان ووضعوه في مكان يبعد كثيراً عن بحيرة طبريا، فأخذ الضبع يمشي ليصل إليها بمعاناة وصعوبة فائقتين؛ بسبب مرضه وسنوات سجنه، وظلّ الضبع يناضل حتى وصل إلى بحيرة طبريا ولكن القمر كان هلالاً ويحتاج إلى أيام ليصبح بدرًا، أخذ الضبع ينظر إلى كل طائر في السماء لعله يجد الصقر، وبعد عدة أيام استيقظ الضبع فوجد طعاماً شهياً طازجاً أمامه، ودون تفكير عرف أن الصقر هو من وضع له الطعام فنظر إلى السماء فوجد الصقر يحلق حراً عزيزاً، فرح الضبع فرحاً شديداً وصرخ عالياً منادياً الصقر، وعلى الفور هبط الصقر

إلى الضبع وتعانقا وسالت من عيونهما دموع حراء، أخذ الصقر يصرخ الضبع ويساعده ليرجع سيرته الأولى شجاعاً قوياً، وكان يحضر له الطعام والعلاج ويدافع عنه اذا تعرض لعدوان، ومضت الأيام حتى رجع الضبع مثل السابق ذو بأس شديد يهابه الجميع، وذات يوم بينما كان الصقر يحلق في الجو، والضبع ينظر إليه بسعادة، إذا بالصقر يصاب ويهوي على الأرض، هجم الصيادون اليهود على الصقر ونزعوا إبرة المخدر وأخذوه ومشوا مغادرين والضبع ينظر إليهم.

أخذ الضبع ينتظر فرصة ليأخذ الصقر دون أن يقع هو أيضاً في الأسر، بدا على الضبع التآني والتروي، وعندما وصل الصيادون اليهود إلى منطقة مليئة بالأشجار المتشابكة هجم الضبع عليهم وأخذ الصقر وهرب داخل الأشجار، وخلال لحظات لم يلاحظ له أثر، استيقظ الصقر من المخدر، وقص عليه الضبع ما حدث، فقال الصقر:

:- * في هذه المرة كنت شجاعاً مقداماً كعادتك، و كنت أيضاً متأنياً بالقدر الكافي على غير عادتك.

الضبع : أنت من علمني التآني وها أنت تقطف ثمار

ذلك.

الصقر: أن تكون متأنياً لا يكفي، بل تحتاج أن تعلم

الآخرين التآني حتى تحصد محصول التآني كاملاً .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (التآني من الله

والعجلة من الشيطان) فالتآني لا يأتي إلا بخير، وكم يكون

الخير عظيماً عندما يأتي بالحرية.

النهاية

الْكَنْزُ الْمُدْفُونُ

(قصة للفتيان)

زياد غزال فريحات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يحكى أن رجلاً صالحاً قضى عمره يجوب الآفاق لنشر
تعاليم الإسلام، وفي إحدى رحلاته وجد كنوز قارون، فخاف
أن يفتنه المال فعاهد الله على إنفاق الكنوز في نشر
تعاليم القرآن وحفظه، وأخذ يدفن في كل بلد يذهب إليه
جزءاً من الكنوز حتى واراها التراب ولم يبق منها إلا القليل ...
وفي إحدى الأيام جهز الرجل الصالح متاعه لرحلة في أحد
المحيطات ... وعندما يأتي في خاطره المحيط يحس بالخوف
من غدره وغطرسة أمواجه، فخشي من الغرق وأن يغرق
معه سر الكنوز، فجمع أولاده الثلاثة محمد وياسين وطه
وكشف عن صدورهم التي تتلأأ صفاءً وأخذ قضيباً من
الحديد المتوهج احمراراً، ورسم على صدور الأبناء معاً
خارطة للبلاد التي دفن بها الكنوز، ومواقع الكنوز وترك
لأبنائه وصية يقول فيها:

:- * لقد رسمت على صدوركم خارطة للبلاد التي
نشرت فيها دين الله وتعاليم القرآن، والمواقع التي دفنت

بها كنوز قارون، وعاهدت الله أن أنفقها في نشر القرآن وحفظه، أتدرون لماذا الحفظ ؟ لأن الحفظ يبني الحب والمودة للآيات، فإن حفظتم القرآن معاً فإنكم سوف ترون مواقع الكنوز، وإن رأيتموها فأنفقوها على ما عاهدت الله عليه، وإذا نسيتم جزءاً من القرآن فإن أعداءكم وأعداء دينكم سوف يرون مواقع الكنوز، ويستخرجوها وتنفق ضدكم و ضد دينكم .

أبنائي الأعزاء:

على صدوركم ثروة أمة فيجب أن يكون داخل هذه الصدور كتاب ربكم، فإن حفظتموه فقد أصبح بينكم وبين آياته حب كبير ومودة غامرة و أصبحتم أسياداً، وإن نسيتموه أصبحتم عبيداً رخيصي الثمن ... مع دعائي المستمر لكم بالصون والسداد.

وارتحل الأب تاركاً وصيته، وخاض عباب المحيط فهاجت الأمواج وثارَت العواصف واستسلمت السفينة لعتو العواصف والأمواج فتحطمت، وأخذت الأمواج تتقاذف الرجل الصالح وهو يقرأ القرآن حتى خرجت منه روحه الطاهرة.

هدأت الأمواج وسكنت العواصف والرجل الصالح مسجى
مأدبة للحيتان، ولم تتركه وإلا هو في بطونها.

ولكن وصيته بقيت وأبناؤه باقون، محمد في الثامنة من
عمره وياسين في السابعة وطه في السادسة، والكنوز ما
زالت مدفونة والأبناء ما زالوا صغاراً، وبعد سنوات من وفاة
الأب، توفيت أمهم واضطر الفتيان الثلاثة للانتقال إلى ملجأ
للأيتام، وخلال وجودهم في الملجأ علم رجل عجوز من
الأعداء بقصة الكنوز والخارطة المرسومة على صدورهم،
فاجتمع مع ابنه الأكبر الذي يسمى الحوت وقال له:

-: * لقد جئت بك لأمر عظيم يا ولدي.

الحوت : خيراً يا والدي .

العجوز : بل شر عظيم. نار تستعر تحت الرماد،
سنصلى بنارها إن نبتت بين غاباتنا ... سيخرج من وهج
النار، نور يبدد ظلام كهوفنا ويخطف أبصارنا.

الحوت -: وأين هذه النار؟

العجوز : على صدور فتية أيتام خارطة تضم مواقع كنوز قارون، فإن حفظوا القرآن فسوف يرون مواقعها، ثم يستخرجونها وينفقونها على بناء مجد دينهم، وهذا يعني هدم صروح مجدنا.

الحوت - : وما هو دوري ؟

العجوز : ستمثل أنك أبوهم..

سام : كيف ذلك وهم أيتام ؟

العجوز : هذا أمر بسيط، لكن الأهم أن تنسيهم ما حفظوه من القرآن ... وبذلك نرى مواقع الكنوز ونصبح أسياد الأرض ... الأيتام الثلاثة أخوة أكبرهم محمد يحفظ عشرة أجزاء ... وهو الآن في الصف السابع، والأوسط ياسين يحفظ ستة أجزاء وهو في الصف السادس، والأصغر طه يحفظ أربعة أجزاء وهو في الصف الخامس، والآن احفظ ما سأقوله لتنفذه بالضبط.

ورسم العجوز خطة للحوت، بدأها بتغيير شكل ابنه ليشبه والد الفتيان الثلاثة، وذهابه إلى الملجأ ليأخذهم ويعيشوا معه، ذهب الحوت إلى مدير الملجأ وأخبره أنه والد الفتيان

الثلاثة، فعرفه المدير وحمد الله على سلامته، فطلب
الحوت من المدير أن يمهد له لقاءه بأبنائه ويخبرهم
بالقصة قبل أن يدخل عليهم.

اجتمع المدير بالأبناء وقال لهم:

:- *لقد جمعتم الليلة لأمر يشبه حكايات الزمن
الغابر ... أمر غريب كل الغرابة ... يجمع في طياته الماضي
والحاضر والمستقبل.

ياسين: ما هذا يا سيدي ... هل جمعتنا لتسرد علينا
أحجية؟ ... قل لنا ما هو الأمر حتى نذهب للنوم فنحن في
غاية النعاس.

المدير: لا تكن عجولاً ... أنتم تعلمون أن أباكم قد
توفي وأنتم أطفال صغار ...

محمد: صحيح، ولكن ما علاقة هذا بالأمر الذي
جمعتنا لأجله؟!

ياسين: آه .. إن هذا أشبه بالتقلب على الأشواك ...
إنني لا أريد معرفة هذا الأمر ... سوف أذهب للنوم.

محمد: انتظر .. يجب أن تبقى، لأن الأمر مهم على ما

يبدو.

أيها المدير إلى أين تريد أن توصلنا ؟

المدير: إلى أبيك يا محمد.

محمد: أبي .. كيف أصل لرجل في بطون الحيتان !؟

المدير: إنه ليس كذلك.

ياسين: أسخف نكتة سمعتها في حياتي ... ربما أنه

يتسابق مع حوريات البحر.

محمد: أين هو إذن ؟

المدير: إنه حي يرزق.

ياسين: أريد أن أقول لك أن رهبة الموت ليست مجالاً

لهذه النكت الباهتة.

المدير: أن أباكم في الخارج ينتظر الإذن مني بالدخول

... لقد نجا من الأمواج والعواصف، لقد تعلق بإحدى أخشاب

السفينة ونجا مريضاً على إحدى الجزر، وعندما شفي جاء

اليكم فاقداً جزءاً كبيراً من ذاكرته ... إنه لا يتذكر إلا القليل
... القليل ... لماذا لا ينفجر حنان الأبوة في داخلكم ... لماذا
لا تتشقق أحجار عيونكم ليسيل منها الدمع فرحاً لإسدال
الستار على يتمكم؟! يا عبدالله يا أبا محمد.

ويدخل الحوت وهو يشبه أباهم تماماً ، ويقوم
بمعانقتهم ويفرح الفتیان الثلاثة كثيراً بلقاء أبيهم
ومسك الحوت بأيديهم جميعاً وخاطبهم:

:- * سوف أعوضكم عن سنين الحرمان التي ولت إلى
غير رجعة وأضع الآلام بعيداً عنكم على مقصلة مشاعر
عشقي لكم، وأدفن في رمال النسيان آهات يتمكم.

ياسين: ووصيتك التي أوصيتنا بها ... حفظ القرآن
... كيف نكون حراساً أمنيين له ... كيف نثور على المساس
بالصفحات وكيف تدمع العيون لأسر الكلمات وتخشع
القلوب على زلزلة الآيات.

الحوت :- سنثور ونبكي ونخشع ونطوف الدنيا معاً
لنشر تعاليمه.

يخرجون من الملجأ فرحين مسرورين وهم يغنون معاً:

سنثور لأجل القرآن...

تنزيل الله الرحمن..

ولأجل الحفاظ البررة..

من صاروا خلف القضبان..

حزب الشيطان الفجار..

شنقوا الآي بحبل النار..

ليذوقوا عذاب الفجار..

وسنبقى في كل أذان..

وسنجمع كل الأعلام..

من حفظوا آي العلام..

ونذيب جليد الكلمات..

بلهيب جلال الفرقان..

والذكر المنزل سيعود..

دستوراً للحكم فريد..

كي يمحوا أشقى الأزمان..

ويطهرنا بالإيمان..

ويأخذهم الحوت إلى قلعة في أعلى جبل في طرف
المدينة، وفي الطريق أخبرهم الحوت أنه نسي مواقع الكنوز
ويجب عليهم أن يحفظوا القرآن لكي يتعرفوا على المواقع،
وبعد أيام من وصولهم إلى القلعة، أمر الحوت ثلاثة من
رجاله يسكنون خارج القلعة بسرقة مصاحف الفتیان
الثلاثة، ثم دفنها بجوار القلعة، تحت الشجرة الميتة، وهي
شجرة ضخمة معروفة لديهم، وأخبرهم بتوخي الحذر لأن
الفتیان يضعون المصاحف تحت رؤوسهم عند النوم، فقال
له أحد رجاله:

:-* ألا ترى يا سيدي أن سرقة المصاحف لا تجدي
نفعاً ... فربما لا ينسون شيئاً مما حفظوه ويكون جهدنا
هباءً منثوراً.

الحوت: سرقة المصاحف لا تسمح لهم بحفظ القرآن، وهذا يعني أنهم لن يستخرجوا الكنوز التي ستنفق على بناء مجد دينهم الذي يعني هدم مجدنا. أما أنهم لن ينسوا، فأنتم لا تعلمون ما يعني المصحف بين يدي الحافظ، غياب المصاحف من بين أيديهم هو أول خطوة على طريق النسيان.

وأخبر الحوت الفتیان أنه سوف يغادر القلعة عدة أيام. وعندما جاء الليل وأسدل ستاره، والكل خلا إلى فراشه وأغلق جفنيه ينتظر الأحلام الجميلة، دخل الرجال الثلاثة إلى غرفة الفتیان وحاولوا سرقة المصاحف ولكن الفتیان استيقظوا وحدث صراع شديد بينهم والفتیان يصرخون ويستنجدون بأبيهم ولكن بلا مجيب، ومع شدة المقاومة فقد استطاع الرجال الثلاثة سرقة المصاحف، وهربوا بسرعة ثم دفنوها تحت الشجرة الميتة، وبقي الفتیان يبكون حتى الفجر، فحضر الحوت بعد علمه أن المصاحف أصبحت تحت الشجرة الميتة، فأخبر الفتیان الحوت بما حدث، وقال له محمد بتصميم وعزيمة:

: - * يجب أن نستعيد المصاحف ... فبدونها لن
نصبح حفاظاً.

الحوت - : يجب أن نستعيد المصاحف حتى لو متنا
من أجل ذلك، فهناك أعداء لنا يحاولون منعكم من حفظ
القران، إن سرقة المصاحف خطوة من طريق، معركة من
حرب ... الخطوة الثانية ربما تكون اختطافكم أو قتلكم ،
يجب أن أحافظ على حياتكم فلن تخرجوا من القلعة
إطلاقاً.

ياسين: هل سنسجن في القلعة لأجل أن نبقى أحياءً
... الموت خير من ذلك.

الحوت :- هناك مكان وأحد آمن به عليكم غير
القلعة.

محمد: أين هذا المكان ؟

الحوت:- إنه مدينة الملاهي.

محمد : - مدينة الملاهي ... مدينة بلا دين.

ياسين :- مدينة بلا أخلاق.

طه :- مدينة بلا رجولة.

محمد :- هذه المدينة هي المشنقة التي سيعلق
على أعوادها حلمنا في حفظ القرآن.

الحوت:- أنا لا أقبل منكم الذهاب إلى هناك ... ولكن
هذه ضرورات إلى حين إعداد العدة ... وفي نهاية الأمر يرجع
لكم ... أنتم أحرار ومن الغد سنبدأ بالتدريب, وأول شيء
سنندرب عليه هو السباحة.

وأخذ الحوت يدرّبهم على السباحة؛ لكي يرى الخارطة
التي على صدورهم كل يوم فعندما ينسون جزءاً من القرآن
فسوف تظهر على صدر أحدهم نقطة يعرف منها موقع
أحد الكنوز.

ومضت ثلاث شهور والفتيان صامدون، ولكن بعدها
ذهب ياسين وطه إلى مدينة الملاهي للنظر فقط، واستمرا
شهرًا يذهبان ولا يقومان بشيء سوى النظر، وبعد شهر أي
في الشهر الرابع تعرفوا على أطفال مدينة الملاهي، وفي
الشهر الخامس أصبحا يلعبان في المدينة كأنهما من أهلها
... والحوت يراقب كل حركة لهما، وهو مليء بالسرور؛ لأن
خطته تسير في خطها المرسوم.

ولكن محمد لم يقبل الذهاب إلى مدينة الملاهي
واستمر بتحذير أخويه.

ولكنهما لم يسمعا له, وفي أحد الأيام سمع محمد
ياسين يصف مدينة الملاهي بقوله:

: - * إنها مدينة بلا هموم ثقيلة ولا أحلام صعبة
المنال.

محمد: مدينة سوف تقتل الغضب الذي أنجبتة سرقة
المصاحف ببطء.

لقد أدرك محمد أن الغضب لغياب المصاحف ضروري
حتى لا يتحولوا مثل قطار بلا محرك يقف على السكة متبدلاً
ينتظر الصدا، كما أنه لاحظ أن أخويه لا يراجعون حفظ
القرآن وهذا ما زاد من خوفه.

ومضى شهر آخر وبدأ محمد يحس بالسأم فعندما
كانت المصاحف معه كان لا يعرف السأم ... شغله حفظ
القرآن لتحقيق حلم يصبو إليه، وفي غياب المصحف أصبح
السأم له صديقاً ثقیلاً الظل.

ومضت ثلاثة شهور أخرى فازداد تعلق ياسين وطه
بمدينة الملاهي, ونسيا الجزء الأول من القرآن، ونسيا أن
لهما مصاحف مسروقة لا بد أن ترجع إليهما، وبعد مضي
هذه الشهور، بدأ محمد بالذهاب الى المدينة للنظر فقط
فحدث معه مثل ما حدث مع أخويه، ولكن كانت المدة
أطول، ونسي هو الجزء الأول من القرآن إلا أنه لم ينس أبداً
أن له مصحفاً مسروقاً لا بد أن يرجع مهما طال الزمن.

وعندما خلع الفتیان ملابسهم ليمارسوا السباحة رأى
الحوت على صدر ياسين نقطة يظهر فيها مكان الكنز،
فصرخ الحوت بأعلى صوته فرحاً .

: - * ها هو الكنز .. لقد رأيته .. لقد رأيته .

محمد : هل قلت أنك رأييت موقع الكنز ... أنت ... أنت
لست أبي ... أنت لا يمكن أن تكون أبي .

ينزع الحوت القناع ويظهر بشكله الحقيقي فيصعق
الفتيان ولا يستطيعون الكلام من شدة الصدمة وعيونهم
تحملق في الحوت، فقد كان الحوت ممثلاً بارعاً، لقد نسي
الفتيان الثلاثة جزءاً من القرآن بمكره ومؤامراته، ولكنهم
أيضاً لم يحافظوا على وصية أبيهم، هل نلومهم على

تفريطهم ؟ ولكن هل تلام الأغنام على نقص اللحم واللبن
ما دام الراعي ذئباً ؟ كيف تثمر الأشجار وهي في كل يوم
تكسر.

كيف يلام الفارس على الهزيمة وهو ذاهب إلى
المعركة مقيداً بأغلال القائد ... إنهم ضحية وهم في نفس
الوقت قد قصرُوا وفرطُوا.

وبقي الفتيان يحملقون بالحوت وهو يبتسم مسروراً
فخاطبهم :

-: * في الأمس ... حاربتكم من وراء ستار، أما اليوم
فحربي على مرأى ومسمع منكم ... ومع هذا سأكون كريماً
معكم ... ستكون هذه القلعة سجنكم ... سجن واسع أليس
كذلك ... وأسمح لكم بالتنزه في مدينة الملاهي ولكن تحت
حراب حرسى .

ومضت الأيام والفتيان في القلعة وهم يقاومون
نسيان جزء آخر من القرآن وعندما يأتي الليل يصعدون على
القلعة وينشدون معاً.

ضمنا السجن لكي نشرب كأس الذل قهراً..

وضربنا بصورف العنف والترهيب غدراً..

تقف الألفاظ في حيرتها غرقى بوحل..

حينما يطعن أهل البغي هذا البدر مكرأ..

اغفر اللهم زلات خطانا كل آن..

إذ نسينا الآي سرنا في سراب وافتتان..

بلعتنا هذه الدنيا عقولاً وقلوباً..

لوث العزة بالإسلام سم الأفعوان..

نحن أحرار ولن نبقى مطايا للأعادي..

ننشر القرآن والإيمان في كل البلاد..

صرخة التكبير في أفواهنا في كل ناد..

نقرأ التوبة والأنفال في ركب الجهاد..

استخرج الحوت الكنز وأصبح الحوت أغنى أهل الأرض،
فعلم سلطان قوي بقصة الكنز الذي حصل عليه الحوت،
فقرر السلطان محاربة الحوت والحصول على الفتیان الأیتام
وسار السلطان بجيشه وحاصر القلعة وأدرك الحوت أنه لا
يستطيع المقاومة كثيراً فقرر مغادرة القلعة مع الفتیان،
ولكن الفتیان قاوموا الذهب معه فحاول إقناعهم أن
مصلحتهم في الذهب معه وقال لهم:

- *يوجد نفق في أسفل القلعة بجانب خزان المياه
لا يعرفه غيري، كما أعدكم بإرجاع المصاحف لكم فهي
مدفونه تحت الشجرة الميتة خارج القلعة.

تردد الفتیان فهم لا يثقون بالحوت إطلاقاً ولكنهم
في نفس الوقت خائفون من السلطان الذي جاء لينسيهم
كل ما حفظوه والحصول على الكنوز، فقال لهم محمد:

- *الأفضل لنا أن نذهب مع الحوت فشخص
نستطيع أن نقاومه خير لنا من سلطان قوي لا قدرة لنا
على مقاومته ... سنذهب معك.

وعندما ساروا عدة خطوات دخل جنود السلطان
القلعة فقتلوا الحوت وكل من فيها سوى الفتیان، وسجن

السلطان الفتيان وأصبح كل يوم يعذبهم حتى ينسوا جزءاً
آخر من القرآن، ولكن دون جدوى بقي الفتيان يقاومون
نسيان آيات القرآن الكريم، فأشار بعض قادة الجند على
السلطان أن يتبع نفس خطة الحوت وقال :

- يا سيدي إن سجنهم وتعذيبهم يجعلهم
يتمسكون بالحفظ أكثر، فعلينا أن نتبع خطة الحوت بأن
نجعلهم يعيشون في القلعة بين الجنود ونسمح لهم
بالذهاب إلى مدينة الملاهي.

وافق السلطان على ذلك، وعاش الفتيان كما كانوا
يعيشون مع الحوت وأصبحوا يذهبون إلى مدينة الملاهي
ويلعبون مع الجميع دون أن ينسوا شيئاً مما حفظوه ودون
أن ينسوا أن لهم مصاحفاً لا بدّ أن ترجع إليهم. وفي ليلة
كان السلطان يحتفل هو وجنده على سطح القلعة، غادر
الفتيان عن طريق النفق الذي أخبرهم به الحوت وذهبوا إلى
الشجرة الميتة واستخرجوا مصاحفهم، وغادروا إلى مكان لا
يعرفهم فيه أحد، وتنكروا وغيروا من أشكالهم، فقد
استفادوا من تجربتهم مع الحوت وكيف غير شكله، وبقوا
متخفين حتى حفظوا القرآن كاملاً واستخرجوا الكنوز
وجمعوا كل الحفاظ ليكونوا حرساً للمصاحف والكنوز.

وزحف الحفاظ إلى القلعة ودخلوها بعد أن أخرجوا
السلطان الظالم منها، واستثمروا الكنوز وجعلوها وقفاً
لحفظ القرآن ونشر تعاليم الإسلام, وكان يرددون دائماً ما
قاله لهم أبوهم :

أتدرون لماذا الحفظ، فالحفظ يبني الحب والمودة
للآيات.

النهاية